تلك الخيانة

© حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

اسم الكتـــاب: تلك الخيانة
تـأليـــــــف: حكيم زكي آل ساو
تدقيق لغوي: مريم توركان
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح
النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

القـطـــــع: 21X14
سنـة النشـر: 2025

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 32308 / 2025
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 686 - 9

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-686-9

تلك الخيانة

رواية

حكيم زكي آل ساو

يوم عاصف

كل الأمور سيئة والحياة برُمتها صارت عبئًا..

الخيانة أمر سيء والأسوأ أن تعرف ذلك متأخرًا..

يونيو شهر الأكاذيب والعبث..

ها هو يأتي ومعه حقائب المصائب والكوارث!

جنون ما حدث أم هو أمر طبيعي؟

ما الجديد في الأمر! أم هو الحمار الذي لم يعرف إلا متأخرًا؟!

اعترف لنفسه أمام المرآة وهو يحلق ذقنه وشاربه، مسح وجهه وأعاد النظر من جديد لوجهه، وكأنَّهُ يراه للمرة الأولى! ثُمَّ تمتم ساخرًا "كم كنت مغفلًا لدرجة تثير الضحك". وضحك سرًا حتى دمعت عيناه.

ذات ليلة، وفي آخر الليل وقدرًا استيقظ، ساعة الجسم البيولوجية أو هاتفٌ داخليٌ أنذره بعدم الغفلة، ربما يكون تفسيرًا معقولًا ومقبولًا.. على أي حال ذلك لم يعد مهمًا.

شعر بجسده خَدَرًا، وعيناه مرهقتان بشكلٍ لم يعهدهُ من قبل، تمطأ بجذعه فاغرًا فاه، متثائبًا، شد وجه قدميه إلى الخلف، لتخفيف ألم العضلة الخلفية، فتح عينيه على سقف الحجرة وعندئذ حملق في دهشة، فرك عينيه ليرى بشكلٍ جيد؛ لعله يستوعب غير مصدق ما يرى، وحين نظر بجانبه، وقعت عيناه على امرأة ممددة في السرير وفي قميص نومٍ أحمر، ارتبك كما لو كان في فراش عاهرة!

دهمته اللحظة فارتعد، متى رآها آخر مرّة وأين؟ ومتى فعلت هي ما فعلت ومع مَن وكيف تم الأمر؟ هنا أم هناك؟

هو المخدوع مُنذُ وقتٍ طويل، هكذا اكتشف الأمر فيما بعد. سمع الأكاذيب والمبررات وسكت، تلقى الهزيمة تلو الهزيمة وصمت، أتته الضربات كل يوم وصاغرًا تحمل، هو القاتل والمقتول!

نظر وكله فزع يبحث في الغرفة عما ينقذه من مشهدٍ يراه للمرة الأولى، لعله حلم يقظة أو كابوس نوم مازال غارقًا فيه. "معقول!". تمتم دهشة وصمت بعدها صمت القبور، لكنَّ الكلمة لم تغادر شفتيه.

الضوء القادم من خارج الغرفة كان كافيًا لرؤية محتويات الغرفة. دعك عينيه من جديد ونظر إلى المرأة المنكفأة على وجهها، كانت غارقة في النوم، ذراعها تغطي وجهها وشعرها متهدل على عنقها من الخلف، والجزء الأعلى من ظهرها عاريًا، وكان بحاجةٍ ماسّةٍ لمعرفة ما حدث معهُ ليلًا، نظر في ملابسهِ وانكمش فيها.

"حالتك ليست بالسوء الذي تظنّهُ يا صديقي، ومهما كنت تعتقد فإنَّ الأمر بسيط ولا يستحق كل هذا القلق، مُجرّد ذاكرة مشوشة، تعود في بعض الأوقات كومضة ضوء تطول وتقصر وتختفي وهكذا.

لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى تعود لسابق عهدك، ربما بضعة أيام".

هكذا أخبرهُ الطبيب في أوّل زيارة لهُ في نهاية اليوم الأول منذ بضعة أشهر، وكان من الضروري أن يذهب إليه، وبدا الطبيب بارعًا جدًّا كما لو كان يعرفه مُنذُ وقتٍ طويل، وأجابه مازحًا "أنت لا تخدعني يا

دكتور؟". والطبيب أجابه بلهجةٍ مراوغةٍ مع ابتسامة ودودة "عندما تستردها، ربما ستفكر أنه كان من الأفضل لو بقيت بدونها".

ماذا سيحدث، لو أنَّ العالم كله استيقظ فاقد القدرة على معرفة ما كان في اليوم السابق، وهكذا كل يوم؟ ذاكرة كورقةٍ بيضاء.

وفي نهاية الجلسة ذكر له على سبيل المداعبة والنصح مداعبًا "سيكون فتحًا جديدًا في علم الطب، لكن عليك أن تعرف أنَّ الرجل القديم بداخلك سيظهر لك من وقتٍ لآخر، ربما يذكرك بأمور لا تتذكرها الآن".

خرج من العيادة وهو يستعيد بوعي كامل ما قاله الطبيب، إذًا كيف كانت الأحوال قبل أن يحدث ذلك؟ ماذا لو عاد من جديد وعاد إلى حياته القديمة، التي لم يعد يعرفها ولا يعرف تفاصيلها؟

عرج على مقهى مجاور لعيادة الطبيب لعل عقله يستجيب لمحاولة استعادة تفاصيل تلك الليلة، لكنَّهُ لم يستطع. ومرة أخرى حاول ترتيب الأمور التي حدثت لهُ مُنذُ اللحظة التي استيقظ فيها حتى ذهب إلى الطبيب، الذي سأله آنفًا عن كيف حدث الأمر وحاول الطبيب أن يعينه ببعض الأسباب فقال "ربما سقطت من فوق دراجة بخارية، أو تعرضت لصدمة نفسية كبيرة". كان يقود دراجة بخارية عندما سقط من فوقها ذات مرّة، وارتطم برصيف الشارع لكنَّهُ تعافى سريعًا، ومرّة أُخرى سقط من فوق الدرج عندما انقطعت الكهرباء في إحدى الليالي. ضيّق عينيه، ورفع كتفيه، وقلب شفته السفلى، ولم ينطق بحرف. وواصل الطبيب سرد الأسباب "أو ربما تعاركت مع أحد

الناس أو تدحرجت من فوق السرير!". سأله الطبيب وهو يفحص عينيه، ثُمَّ عاد إلى مقعدهِ خلف المكتب، وأجابهُ الرجل وهو يمسك بذقنه متطلعًا بعينيه إلى سقف الحجرة "لا أتذكر شيئًا مما حدث فعلًا".

حدث ذات مرّةً عندما هجم أحد أولاد الجيران المتسكعين على الناصية، لمعاكسة ابنته الكبرى، خرج وقتها إلى الشارع كالمجنون غاضبًا، وخلع ملابسه ووقف في الشارع عاريًا إلا من سروالٍ قصير، وفي يده عصى بيسبول اشتراها خصيصًا لهذا الغرض. وقال الطبيب وهو يبتسم "هل ذلك ما حدث فعلًا؟". نظر إليهِ في هدوءٍ وقال "هل أنا مجنون يا دكتور؟".

لم كل المعارك اليومية تحدث في الشارع لأتفه الأسباب، لم الفساد يضرب في كل مكان بلا هواده.. ربما لإظهار القوة، أو الفوضى العارمة التي يتعامل الناس من خلالها، والكارثة أن تكون تلك الأمور مخطط لها من خلال لعبة ما.. وقتها قال لنفسه "الأدب لم يعد مطلوبًا هذهِ الأيام".

وسأله الطبيب "هل كنت تتناول مخدرات أو تحتسي خمورًا يا سيد...؟".

هو لا يتذكر أنَّهُ كان يُدخن الحشيش والأفيون، لكنَّهُ يشعر إلى حد ما أنَّهُ كان مدخنًا في وقتٍ ما، لكنه أيقن من ذلك عندما أدنى أنامله من فتحتي أنفه، ما زالت عالقةً بهما رائحة التبغ.

ربما يغالط نفسه الآن معتقدًا أنه لم يقرب الخمور، وحقيقة الأمر أن الرجل احتسى الخمر في أوقات كثيرة، وكان الحشيش والفياجرا والترامادول والأيس والأقراص بكافة أنواعها في متناول يده، بل

وكل ما جد في السوق، كان يجلبها لشخصٍ ما لا يتذكر اسمه على وجه القطع.

- ما اسمك يا سيد؟

- لا أعرف.

- ماذا كنت تعمل؟

- لا أعرف.

- أين تسكن؟

- لا أعرف.

- كيف أتيت إلى هنا؟

- قرأت اسمك على اللوحة المضيئة، وبعدها صعدت مباشرة إلى هنا.

- هل تعرف عنوان بيتك الذي أتيت منه؟

- لا.

- هل تتذكر أي أحد تعرفه؟

- لا.

- هل تستطيع العودة إلى المكان الذي جئت منه؟

- أظن أنني أستطيع العودة إلى نفس البيت، فهو قريب من هنا.

وخرج من عيادة الطبيب إلى الشارع لا يلوي على شيء. فيما بعد ظن نفسه داخل فيلم دراما حزينة ودموية، عايشها لبعض الوقت حتى انتهت الأمور إلى ما انتهت إليه.

كان الضوء القادم من صالة البيت قد دخل حجرة النوم عندما فتح عينيه في ذلك الصباح، وقد بدا الرجل راقدًا في سريره على جانبه الأيمن، هذا ما كان يحدث دائمًا، فرك عينيه بشدة وقد شعر ببعض صداع يأخذ رأسه بلا هوادة، وببدنه خمول لم يشعر بمثله من قبل.بدا كما وصفته المرأة التي رآها بجواره في السرير سابقًا "رجل عتيق الطراز، لديه قدرة هائلة على التحمل، لا يتذمر ولا يحب الشكوى".

رفع جسده من فوق السرير، وجلس ممددًا ساقيه بينما طرح يديه خلف ظهره، وشهق وهو يتناول نفسًا عميقًا، ثُمَّ في كسل وهو يشعر بدوار خفيف وزغللة في عينيه، أدار رقبته ونظر حتى استقرت النظرات عن يمينه، ويا لدهشته حينما وجدها بجوارها! امرأة طريحة الفراش، ممددة على شقها الأيسر وفي راحة تامة، غارقة في ملابس النوم، وكالملدوغ انتفض، لكنَّهُ ظل في مكانه كامنًا بلا حراك، مأخوذًا بالمشهد، ثُمَّ استدار برفق وسحب نفسه من السرير وفي هدوء نهض، وقف كالمعتوه أمام السرير محاولًا البحث عن تفسير معقول لما يحدث معه..

لماذا هو هنا في نفس الغرفة التي تنام فيها امرأة!

مشى على أطراف أصابعه بعيدًا عنها، حتى وقف في زاوية من زوايا الغرفة وبعيدًا عن السرير..

أعاد النظر إلى الغرفة بعينين غارقتين في الدهشة.. بدت له كغرفة لم تطأها قدماه من قبل، جلس في هدوء على كرسي فارغ في مواجهة سرير، راح يحدق فيه كأنَّهُ يراه للمرة الأولى.

ومرة ثالثة تفقد الغرفة بعينيه، لحظتها صعد من أعماق عقله صوت هادر غاضب، لم يستطع استيعابه "أنا مفلس وضائع يا امرأة". هكذا قال لها، ذات مرة في جولة من جولات المناقشات الساخنة. شعر كأنَّهُ ضائع وغريب بالفعل.

ما الذي حدث في هذا الصباح الغريب! في الأيام السابقة عندما قال لها "أنا مفلس وضائع" هذهِ العبارة الغارقة في أزمته، ترددت الكلمة داخل رأسه ما بين لحظة وأخرى وكأنها طلقات رصاص ٩ ملم. هذا ما كان عليه وقتها، وما كان عليه الجميع في البيت، هذا هو الواقع، وهذا اليوم هو الجديد.

مَن قال هذهِ العبارة الشنيعة وما يظهر خلفها من بشاعة!

ومتى كان ذلك الأمس عديم الرحمة؟

ولم يعرف تمامًا ما حدث، وكأنَّ شخصًا آخر حلَّ داخل جسده ولا يعرفه، ولا يمت له بصلة! مصدوم ومرتاع، لحظة بلحظة يعيد ترتيب الأمور، لبضع دقائق قلَّب عينيه منبطحًا في تأملاته العبثية عن السبب الذي جعله كذلك.

صحا من النوم، شعر بصداع، شعر بجسده متعبًا وعيناه متورمتان. اعتدل دونَ أنْ يجلس، فتح عينيه، فركهما من جديد وكأنه يدهسهما بسبابتيه. ما زال بجسده خدرُ نوم ليلة من ليالي الشتاء القصيرة. كافح ليعتدل متكئًا على راحة يده، جال ببصره هنا وهناك متسائلًا عمّا حدث ثُمَّ تمتم في ارتباكٍ واضح "ذاكرة مريضة وعينان منتفختان قليلًا. ماذا حدث لك!".

هز رأسه مستنكرًا ذلك الإحساس البغيض، إحساس فقدان الذاكرة والمرض الشديد، الذي يستدعي زيارة الطبيب النفسي، وربما حان وقت الموت!عرك وجهه، وخلَّل شعره بأصابع متيبسة وخدرة.

"ماذا حدث يا هذا! أين أنت؟قل ماذاحدث؟ هل تريد أن تعرف فعلًا ما حدث؟".

لا يتذكر إلا تلك اللحظة التي يبدو فيها مجهولًا وكأنه كهف مغلق على ما فيه.

ومرة رابعة، تأمل الغرفة لدقائق فتأكد أنه لا يعرفها، كأنَّهُ داخل متاهة المائة غرفة.. كل شيء بدا غريبًا وصادمًا وكأنه يراه للمرة الأولى.. السقف، المرآة، والمرأة النائمة بلا حراك، وكل تلك الأشياء التي تحيط به. التفت إلى الكائن المسجى في سرير النوم. سأل نفسه "من هذه المرأة؟ ولماذا هي مستسلمة للنوم هكذا كأنها في بيتها؟".

فرك عينيه من جديد ثُمَّ ابتعد عنها بشكل بدا تلقائي في تلك اللحظة من حياته. انتفض جسده خوفًا من فضيحةٍ ما، كأنَّ المرأة خرجت فجأة من الظلام وقفزت على عنقه. انكمش كفأرٍ لمح فجأة قطًا بريًا يُظهر أنيابه الحادة، وقد أوشك على القفز على رقبته، سحب ساقيه في هدوء وجلس متقرفصًا وأسند رأسه لظهر الكرسي. حاول أن يبحث عن نفسه وسط الفوضى التي وجد بداخلها، لم يكن لديه تفسير مقبول لوضعه داخل الغرفة، وبدلًا من ذلك وجد داخله فراغًا هائلًا وكأنَّهُ لم يكن من قبل شيئًا!

"ما الذي أتى بي إلى هنا؟!" تمتم متسائلًا.

ومن جديد نظر إلى ملابسه فاندهش، هاله الأمر وما فيه، فقد وجد نفسه داخل تي شيرت كحلي وسروال أبيض قصير.

نهض بخفة حتى لا تشعر بهِ المرأة التي ينام في سريرها. خطى في حذرٍ حتى وصل للمرآة المقابلة للسرير، نظر في وجهه يتأمل ملامحه وجه محفور عليه سنوات حطام عجاف "أهذا أنا قبل الآن؟". وقف متسمرًا للحظات، ثُمَّ أدار رأسه من جديد صوب المرأة الغارقة في النوم.. نصف وجهها فقط، وشعرها الرمادي متهدِّل على جسدها، سأل نفسه "من هذهِ المرأة! ولماذا هي هنا؟

ولماذا أنا معها في نفس الغرفة؟ ماذا حدث بالأمس؟

كم الوقت الآن؟ وفي أي يوم من أيام الأسبوع؟"

في المطلق، هو لا يتذكر ماذا كان الأمس... كيف بدأ وكيف انتهى؟

اقترب من جدار الغرفة الآخر، وارتفع بنظره حتى برواز كبير بداخله صورة رجل وامرأة في ثياب الزفاف، دقق النظر "كأَنَّهُ أنا أو ربما شخص يشبهني تمامًا". تمتم في دهشة "أهو فقدان ذاكرة أم خلل في الحواس الخمسة؟!".

ماذا حدث له عندما نام بالأمس؟ هكذا خاطب نفسه دونَ كلام.

سحب مقبض الباب برفق وانسل منهُ في هدوء.. رأى صالة البيت غارقة في الهدوء، واسعة نوعًا ما، فتح عينيه على ما فيها: طقم صالون.. شاشة تليفزيون كبيرة.. راديو قديم داخل صندوق خشبي.. ساعة خشبية قديمة أسفلها مقعد خشبي ملفت.. ونافذة تطل على منور البيت.. وثلاثة أبواب تفتح على الصالة.

داس برفق وحذر على سجادة حمراء، تملأ كل الفراغ الظاهر من الغرفة، ثُمَّ سار في هدوء حتى جلس على الكرسي الخشبي العتيق أسفل ساعة خشبية عقاربها متصلبة على الخامسة والنصف صباحًا.

كأنَّ البيت كلّه غارق في الصمت! غارق في الوحشة..

والمرأة كانت تشير لهُ بإصبعها كأنها تحتقره، وردّ بلهجة من أضاع حياته عبثًا "أنا الآن وبعد هذهِ السنوات، كل ما قلت، وكنت أنا ومن أجلك أعمل كالحمار، أصبحت الآن عشوائيًا مريضًا.. كخيل الحكومة، أنا الآن؟".

بدت لهُ كامرأة ناكرة للجميل، متمردة، وصاح فيها كطلقة رصاص عليها أن تصيب هدفها "هل وجدت حمارًا لإكمال الرحلة يا امرأة؟".

وردّت المرأة في غضب مصطنع "اخرس أيها البائس، هل تتهمّني في شرفي؟".

لكنَّهُ الآن لا يعرف ولا يتذكر حقيقة ما حدث... لقد كان الأسئلة في تلك اللحظة هي: مَن أنا؟ مَن هؤلاء؟ مَن هذهِ المرأة التي كانت تنام بجانبه طيلة ليلة كاملة، هل حدث شيء؟

ونظر في ملابسه.. وماذا بعد؟ وماذا يوجد داخل هذهِ الغرف؟

ما هي المفاجآت التي تنتظرهُ في هذا اليوم، ثُمَّ الأيام التي تليه؟ هذا العالم يا صديقي، هو أسوأ مكان لتعيش فيه بأحلامك الوردية.. عليك ألا تكون رومانسيًا، فهذا لا يناسب طبيعة العالم وما يحدث فيه، النفاق سلاح ماهر لفتح الثغرات، الكذب في الحروب مباح ودنياك كلها

معارك، مُنذُ الصباح وحتى تسند رأسك على الوسادة، عليك أن تكون ماهرًا حتى لا تنخدع.

ذكر الحقيقة ليسَ من الشجاعة ولا من القوة، لكنه الغرق بذاته.. التملق ضروري لكسب العيش.. رضا الناس غاية لا يمكن إدراكها يا... وحوش الغابة تعيش هنا معنا، وحوش غريبة، تملك ساقين للمشي، ترتدي نظارات فاخرة، تستقل سيارات فارهة، تجوب العالم في يخوت وقوارب تكفي لإطعام قرى بأكملها، ولعام كامل، ثُمَّ تقف أمام الشاشات لتخطب في الناس، وفي تجمعات بشرية غارقة في الوهم بعبارات تناسب ملهاتهم. هتافات الجماهير تتساقط عليها كالزهور، ومن ثَمَّ تنهال القنابل في مكان آخر، الواقعية وقليل من الحب، كثير من الأنانية، هذا هو العالم الآن.

كن حذرًا للغاية، ومن إرث الحكايات من حفر بئرًا لأخيه سقط فيها" نعم عليه أن يتأكد أنّ بئرًا أخرى ستُحفر له، كل الأرض صارت قبورًا وسرادقات عزاء، نفوس البشر مظلمة يا هذا، ها هو الضوء يدخل من النافذة المطلة على منور البيت، فلا تقلق من ظلام الداخل. عادت الشابة الصغيرة ووقفت أمامه، رفعت يدها ولوحت بها فعرف أنها تحييه فرفع يده وحياها، هرشت رأسها كأنها أرادت أن تقول شيئًا، لكنها فيما يبدو تراجعت عن القرار.

الوقت ليسَ مناسبًا، صوت المنطق داخل عقل الصغيرة يحدثها بذلك، خمن أنها ستطالبه بشيءٍ ما، لكن صوتها جاء عابرًا "مش هتكمل نومك؟. ورد في عفوية "لا، ساعة وانزل الشغل". ابتسمت البنت وهي تغطي فمها بيدها ثُمَّ قالت "شغل إيه يا بابا، دا يوم عطلة

رسمية". ودخلت من الباب الذي خرجت منهُ ثُمَّ أغلقته خلفها، وبقي وحده في الصالة.

"بابا.. بابا، أنا بابا".

وابتسم صادقًا، ثُمَّ نهض واقفًا ودار في الحجرة متأملًا ما فيها، نظر فرأى الأحذية في جذامة من القماش خلف الباب، بعضها جديد والغالبية قديمة وتم إصلاحها، وبعض الحقائب الصغيرة، صور مؤطرة على الجدران، تليفزيون صغير، وعاد وجلس في نفس المقعد مع تغيير جلسته؛ حيث عقد ساقًا على ساق وهو يتمتم "هذا أفضل قليلًا". بعض الهدوء النسبي، بسط جناحيه على عقله المتوتر حتى سمع حركة تأتي من هنا وهناك.. استيقظ النائمون، وعليه مواجهة ما سيحدث في الوقت القادم، انفتح الباب المغلق وخرجت منه المرأة التي رآها على السرير، شعرها سائب مهوش، ليس طويلًا جدًّا كما بدا له في غرفة النوم، جسدها في قميص نوم فوشيا من الساتان يعلوه روب أزرق من القطن، بدت المرأة متثائبة كما لو أنها لم تنم بشكل جيد، لا بد أنَّ شيئًا ما أرّقها، خطت نحوه وهو ينظر إليها في حذر من أسفل عينيه الرماديتين الواهنتين، كأنَّهُ يراها للمرة الأولى في يومه الجديد.. على المقابلة الأولى أن تظهر نفسها وبوضوح تام حتى يتفادى الوقوع في الخطر، الحذر واجب، ترتيب الكلام ضروري ومنطقي، توقع المفاجآت وارد جدًا، الآن سيتعرف على ملامحها بشكل أكثر وضوحًا ودقة.

المرأة متوسطة الطول، في العموم ليست نحيفة ولكنها ممتلئة أسفل الوسط وأعلاه، أهذا ما أعجب الرجل الخبير وقتها؟ وقد كان في

السابق خبيرًا بتفاصيل المرأة، كان مغرمًا، شعرها بني غامق ووجهها مستدير، ذات عينين واسعتين تحيط بهما هالة سوداء خفيفة، وبعض التجاعيد الصغيرة حولهما، شفتاها خاليتان من الأصباغ.. في المجمل بدا وجهها شاحبًا قليلًا، لكن بهِ مسحة جمال لا يمكن إغفالها.

نظر إليها نظرة رجل خبيث، نظرة عارفة، وكرجل يتعرف على امرأة للمرة الأولى، وجد جسدها بمجملهِ ناضجًا شهيًا.. أربعينية كما قدر من ملاحظته الأولى لجسمها وشكلها العام، وظن أنها ستبدي انزعاجًا لنظراته التي ربما اكتشفتها مبكرًا، ستصيح في حركة عفوية، وهي تضرب على صدرها البارز "يا لهوي من أنت يا رجل!" لكنها تصرفت كما تصرفت الشابة الصغيرة دون انزعاج يذكر "متى صحوت!". وفي صوت يدل على طبيعة رجل يعرف المكان جيّدًا، ودون أن يلفت نظرها قال:

"تقريبا منذ نصف ساعة".

"هل نمت جيدًا بالأمس!". قالت وهي تخطو نحو المطبخ.

"إلى حد ما". قال في مواربة.

وبدورها نظرت المرأة نحوه بدهشة، وقد رفعت كتفيها الضيقتين عجبًا وكأنَّ الإجابة لم ترقها:

- عجيب أمرك أيها الرجل! فعلًا نمت جيدًا!.

وقال بذات الدهشة:

- ولماذا العجب!".

- لأن ما حدث في الأسبوع الأخير لا يجعلك كذلك.

- وماذا حدث في الأسبوع الأخير؟

- انظر إلى هذهِ الجدران، مُنذُ تزوجنا ولم تغير طلاؤها.. نحتاج إلى ورق حائط مبهج.. حوائط الحمام تقشرت.. المطبخ يحتاج إلى تجديد.. البوتاجاز.. الغسالة.. أسرّة الأولاد.. الملايات وا... وا.... قائمة لا تنته يا سيد.

كان يسمع وكأنَّهُ لا يهتم، وعندما انتهت قالت بلهجة فظة "ولن يحدث أي تجديد، أنت ككل مرة ودن من طين وودن من عجين..".

نظرت البنت الكبرى وبدا على وجهها ضيق وغضب، ثُمَّ قامت وربتت على كتفه وقبلت رأسه، وهي تقول "أنت حبيبي".

زغدتها المرأة في جنبها وقالت في سخط "يقصف عمرك يا بومة!"

ثُمَّ اتجهت إليهِ وقالت "انظر إلى نفسك، لقد أصبحت مسنًا، ولم تبلغ الخامسة والأربعين بعد! لماذا؟ هل تخبرني عن السبب؟".

وما كان لهُ أن يرد على تلك العبارة، وما فيها من سخرية.

تُرى أهذا ما حدث في الأسبوع الأخير؟!

تلكَ المعركة التي بدا فيها الرجل بلا أسلحة، بل خطة، وقد تقبل مُنذُ البداية وبوضوح تام هزيمة لم تكن الأولى معها. لقد كان من الطبيعي في تلك اللحظة، أن يسألها عما حدث في الأسبوع الماضي لكنَّهُ في ذات اللحظة خشي أن يكون تدخله في أمر لا يعرف عنه شيئًا، سببًا لمزيد من المشاكل.

ابتلع الإهانة وآثر السلامة وقفز على الموضوع بأكمله وقال، وهو يلوك الكلمات في فمه "المهم أن تكوني أنتِ بخير".

نظرت المرأة نحوه بامتعاض، وكأنها تقول في انزعاج أي خير تعني؟ ثم هزت رأسها في عصبية وكأنها تقول أنت تعرف ماذا أعني ثُمَّ تابعت طريقها إلى الحمام، لكنها توقفت للحظة، وكأنها استدركت ما فاتها، ثُمَّ استدارت بوجه تبدو عليه علامات الدهشة وقالت "لماذا استيقظت مبكرًا؟". وكان الجواب الطبيعي في تلك اللحظة هو أنه ذاهب للعمل، لكنها فاجأته بقولها "واليوم إجازة! هل لديك مشوار خارجي مثلاً؟". لم يعلق، لكن بدا عليها الامتعاض من حركة فمها.

هذهِ بداية لإعلان الحرب من أول اليوم. أهكذا كانت تجري الأمور بينه وبينها؟ أدار الأمر في رأسه، وتخيل في لحظات قليلة طبيعة الحياة في البيت، ثُمَّ أطرق صامتًا، كأنَّ الأمر حتى تلك اللحظة بالنسبة لهم عادي جدًا، فيما بدا له أنَّهُ يدعو للشك في قدراته العقلية.

جلست الشابة الكبرى على المقعد المجاور له، بدت له رزينة، لكن وجهها لا يبتسم.

"صباح الخير يا بابا".

كانت تبدو جميلة ورقيقة، مستوية القوام وشعرها طويل، وعيونها بنية. رأى ذلك وهي تقترب منه، وجهها يشبه وجه أمها في استدارته عدا أن ملامحها دقيقة وفاتنة، وجسمها مكتنز قليلًا.

"صباح الخير". مبتسمًا أجابها.

شعر نحوها بالراحة، وحتى تم إعداد الطعام كانت رأسه مشغولة بذات الأسئلة.. ماذا حدث هنا؟ امرأة وبنتان، وماذا بعد؟ ونادت الشابة الصغيرة بصوتٍ مرتفع "كامل، كامل، كامل".

أدار رأسه نحو الغرفة الثالثة وتسأل مَن هذا الكامل؟ تعلقت عيناه بالباب المغلق حتى بدا منه كامل.. فتح عينيه بشكلٍ كاملٍ نحو شاب بدا له وهو يخطو نحوه أنه الأكبر في البيت، بدا وسيمًا مبتسمًا وهو يخطو نحوه ويقول وعلى وجهه ابتسامة "صباح الخير يا عامر".

أهذا هو اسمه؟ عامر، اسمه إذًا عامر.

هكذا كان معك منذ وقت طويل، طريقته في التعامل معك، كان يحبك يا عامر، من باب التدليل والقرب منك كان يفعل ذلك.

"لم أرك بالأمس، خيرًا".

ولم يعرف ماذا عليه أن يقول، لكن إحدى البنتين سبقته فقالت "أنت يا كامل أفندي، رجعت من حفلة الأمس عند صديقك الأنتيم من جمهورية المهندسين في الثانية صباحًا فكلما ذهبت إليه أنساك الوقت".

ابتلع كامل ريقه ولم يتلفظ بكلمة، لكن نظرات المرأة حوله كانت مثيرة للشك، ماذا تريد أن تقول بالضبط! ماذا حدث أمس؟ ربما أرادت أن تقول أنّ نقاشًا دار بينها وبين زوجها بخصوص مصروفات البيت، والدروس الخصوصية وفواتير الماء والكهرباء والحاجة إلى بعض الملابس والأحذية الجديدة.

ما الجديد في البيوت غير ذلك!

ماذا في زمن الأكاذيب سوى الألم!

ربما كان الأمر أعمق وأخطر.

ربما شعر وقتها بحجم الضغط الهائل فصرخ في وجهها قائلًا "أنا مفلس وضائع". وهنا انتهى النقاش فانسحب إلى الغرفة وأغلق الباب، شاعرًا أنّ كل شيءٍ حوله يضيق، حتى يصل الأمر إلى الإحساس البشع بالاختناق المفضي للسقوط، والبكاء والرغبة في الموت، وظل صامتًا حتى اللحظة التي سمع فيه صوت المرأة يقول "لماذا لا تأكل يا سيد عامر، أم أنّ هناك بيتًا آخر ينتظرك!". عند ذلك توقف الجميع عن الحركة، واتجهت الأنظار إليها، عن أي شيءٍ تتحدث تلك المرأة؟

"ماما".

كان صوت الشابة الكبرى، وكأنَّهُ يطلق تحذيرًا أنّ الوقت ليس ملائمًا لطرح مثل هذهِ الأمور! كما أنَّهُ لا ينبغي مناقشته أمام الأولاد..

نظرت المرأة نحو الشابة وهي تطلق زفيرًا ناريًا... صوبت نظراتها في عينيها مباشرة.. هذهِ هي المرة الأولى التي يرى فيها عينيها بشكل مباشر، لم تكن نظرات ودودة بالمرة يا عامر، ما الذي حدث لكل هذا! لا بد أنك فعلت أشياءً سخيفة للغاية مع هذهِ المرأة، وفي المقابل كان يريد أن يقول صارخًا في وجوههم ماذا فعلت لكم؟ مَن أنتم! أنا لا أعرفكم! ومَن عامر هذا الذي تنادونني به!

إنَّهُ أنت، أنت تمامًا تمامًا..

عامر يوسف المليجي.. موظف بوزارة الصحة راتبه أربعة آلاف وخمسمائة وأربعة وسبعون جنيهًا، إضافة إلى أربعة آلاف أخرى يتحصل عليها من سيارته التاكسي.. شقته ثلاث غرف وصالة.. لديه ثلاثة أولاد في مراحل تعليمية مختلفة، لكنَّهُ يحتاج إلى آلاف أخرى لتغطية نفقاته الشهرية.. الانخفاض الحاد في قيمة العملة المحلية دمر كل شيء... المدخرات.. الذهبيات.. الاقتراض من الغير.. بيع بعض الممتلكات.. راتبه بالكاد يكفي لشراء أحد عشر كيلوغرامًا من اللحم الأحمر.. هذا هو أنت يا عامر.. ذات مرّة صرخت في وجوههم قائلًا "أنا مفلس وضائع... الرحمة يا ناس!". تلك العبارة التي يتردد صداها مدمرًا، قدرتك على التعايش النفسي البسيط، هو عامر القديم الذي لا تعرفه الآن بشكل جيد. وفي داخله يشعر أنَّهُ يموت ببطء وأنَّ الحياة مملة وسخيفة ولا قيمة لها، وأنَّ الموت أحيانًا أفضل من هذهِ الحياة، بل الغريب أنك كنت سابقًا تندهش عندما تسمع أو تقرأ عبر وسائل الاتصالات، عمَن ينتحر بالقفز من أماكن مرتفعة، ومَن يلقي بنفسه تحت عجلات مترو الأنفاق، ومن يُشعل النار في نفسه ومَن يقطع شرايين يديه، ومَن يشنق نفسه، فتقول ساخرًا "رغم كل شيء، لا يجب على الإنسان أن يتخلص من حياته على هذا النحو والعياذ باللَّهِ هذا كفر، كيف يخسر الإنسان دنياه وآخرته على هذا النحو الغريب؟!". لكنَّك في لحظات اليأس كنت تتنهد أسفًا وتقول "لقد ضاقت بهم الحياة حتى أصبحت في أعينهم كثقب إبرة، لا مفر من الخروج منها بكافة الطرق المتاحة". مر على زواجك من هذهِ المرأة التي تجلس على المائدة أمامك، ولا تعرفها الآن بشكل جيد، الكثير

والكثير من السنوات. من هذهِ اللحظة وأنت تواجه الحياة وتصارعها ولم تسلم منها، أصابتك الوساوس الشيطانية، تسلطت عليك الأمراض القبيحة، داهمتك المشاعر المختلطة بالعدمية وكأنك على هامش هامش الحياة.

ما هذا يا رجل! ما هذهِ الحياة التي تحياها؟ ليس هذا وكفى، بل اتهمتك المرأة التي كنت تنظر لها منذ قليل تلك النظرة العدوانية.. أنت رجل لا خيال له، ولا نفع من ورائك.. حتّى خيم الظلام على حياتك، فهممت على وجهك مرات عدة هربًا منها، ومن رغبتك في التخلص منها، لكنك كنت تتراجع في اللحظات الأخيرة كرامة لأبنائك. اتهمتك المرأة أنك على علاقة بامرأة أخرى، لكنها لم توضح مَن هي تلك المرأة التي تخونها معها، عندما كنت تهرب من البيت ليومين أو ثلاثة، أم كنت خائنًا بالفعل!

ترى هل تلك المرأة هي التي أغرتك، أم أنت الذي راودتها بإقامة علاقة غير مشروعة؟

"عامر أفندي، عامر بيه".

هذا الصوت، هذه المرأة وقد قالت ذات مرة "لماذا لا تبحث عن عمل آخر بعيدًا عن هذهِ الوزارة المريضة! جارنا مصطفى يعمل في وزارة البترول، الكل يبحث عن السعادة والسعادة هذه الأيام معناها المال". وقلت عندئذ "المال والنساء هما الشيئان اللذان يدور حولهما الصراع في كل الأزمان". وقالت في صوت يفوح مرارة "كويس إنك فاهم كده يا عامر ،أنت لا تتمتع بخيال وليس لديك رغبة حقيقية في تطوير

نفسك". وفي مقابل ذلك، قلت بهدوء لكنَّ أعصابك كانت تحترق "هذا زمن يفسد فيه كل شيء". وقالت المرأة وهي تنفخ في الهواء، وتتابع بعينيها الدخان المنبعث من سيجارتك "معايير الأخلاق اختلفت يا عزيزي.. فنحن لا شيء مقابل المال، المال يصنع كل شيء وكل شيء له ما يبرره، وكل شيء يصبح مباحًا ومتاحًا حتى تتمكن من النجاة". وانتبه من غفلته على صوتها وسمع جملتها التي تدعوه لتناول الطعام "لماذا لا تأكل؟". وقال إنه لا يشعر بالجوع، بالأمس تناول طعامه ثُمَّ نام بعدها مباشرة، هو لا يتذكر ذلك الآن، لكن ما لا يعرفه أنّ نقاشًا حادًا دار بينه وبينها بالأمس، وكان متعلقًا بنفقات البيت، وقد قالت في سخط واضح أنها ضجرت من هذهِ الحياة القاتلة، وأنها لا تشعر أنها امرأة كبقية النساء.

ذكرته بزوجة جاره مصطفى، التي تغير فساتينها وملابسها وتذهب للمصايف وتجلس معه على المقاهي، وهي تبدو في العشرين رغم أنّ عمرها الحقيقي أكبر من زوجها بعامين على الأقل.

أنا لا أذهب للمصايف، أنا لا أخرج في رحلات، أنا لا أذهب حتّى للجلوس في الحدائق العامّة، أنا ليس لديَّ فساتين ولا أحذية، ولا بناطيل جينز ولا قمصان نسائية... لا عطر، لا أدوات تجميل، لا جيم.. أنت قتلتني يا هذا! في نهاية الحوار صرخ في وجهها "أنا مفلس وضائع يا امرأة، كل ما معي لكم، ماذا أفعل؟". هز رأسه في صمت وتمتم "نعم، الحاجة، الفقر، التفكك، الجشع.. هذهِ مفردات لا بُدَّ من التعايش معها في زمنٍ كهذا، والحياة لها مخالب قاتلة.. عليك أن تكون قاطعًا قاتلًا إذا لزم الأمر.. عليك ألا تكون وحيدًا لتنجو، لا أحد يرحم

هذهِ الأيام معك زوجتك وأولادك". وصمت متنهدًا، لقد تأكد في هذهِ اللحظة أنَّهُ قد ما كان يعرفه بالأمس، كل ما كان يُحبّه ويكرهه قبل تلك الليلة، التي استيقظ فيها على ذاكرة جديدة وعليه أن يتصرف وفقًا لهذا.

لم يعد يربطه بعامر سوى هذا الجسد البيولوجي الثقيل، لكن لم تعد هناك مشاعر تربطه بعامر ولا بأسرته، إنهم مجرد أشخاص يحاول الآن بل ويحتاج وبشكل عاجل أن يتعرف عليهم وكأنهم أشخاص غرباء تمامًا عنه! وعن كل ما يتعلق بهم، عليه أن يختار.. هل يعترف لهم بما حدث، أو يستمر على نحوٍ ما، لكن عليه أن يكون حذرًا مما سيحدث خلال الأيام القادمة؛ لأنَّهُ بطبيعة الحال ستكون هناك مفاجآت، وعليه أن يكون مستعدًا لها. عندها شعر أنّ جسده وكأنَّهُ أصبح كتلة من النار! وأنَّهُ بحاجةٍ ماسّة لتفريغها، نهضَ بهدوء وانسحب إلى غرفة النوم، جلس على حافة السرير، شعر أنّ الفراش ساخن جدّا فنهض إلى بلكونة الغرفة ونظر إلى الشارع.. نظر مطولًا إلى الشارع كأنَّهُ يراه للمرة الأولى.. نظر إلى البيت المقابل وإلى أسفل منهُ ثُمَّ رفع عينيه إلى أعلى، فوجد طفلًا صغيرًا يُشير إليهِ من أعلى وكأنَّهُ يحييه فرفع يده وحياه مبتسمًا، ثُمَّ اختفى الولد إلى الداخل.. أكان طفلًا أم شبحًا ذلك الشيء!

مفردات يومية

"سارة، اغسلي الأطباق، وضعي السكاكين والملاعق والأكواب في أماكنها، واحدة واحدة.. ست سكاكين، ثلاثة كبيرة، واثنتان متوسطتان، وواحدة صغيرة مشرشرة، كانت هدية من شخص عزيز أحبه جدًا.. المطبخ، غرفة النوم، النيش، الصالون وكل ما به.. هذهِ ممتلكاتي أنا.. شخص عزيز".

"شخص عزيز" هكذا قالتها وهي تضغط عليها وقد لاحظ ذلك من خلال نبرات صوتها المرتفعة، والنساء يحببن التفاصيل الصغيرة... مَن يا ترى الشخص الذي أهداها السكين؟! والمرأة تنطق بالكلمات بسعادة "من شخص أحبه!".

أهو عامر أم شخص آخر؟ ومَن يكون غيره؟!

تساءل وقد تبدت في قسمات وجهه علامات الضيق، هل هذهِ المرأة تعيش معهُ في هذا البيت، حبيبته أم مجرد زوجة وأم الأولاد فقط؟ وردت البنت بأدب، وإن لم تخفِ ضجرها "حاضر يا ماما... لقد حفظتها كلمة كلمة، وما من داع للتكرار".

انقضى مجلس الإفطار، ودخلت البنت الصغرى إلى الغرفة والثانية لغسل الصحون مع المرأة داخل المطبخ، والشاب إلى الخارج، لم يتعرف عليه بشكل جيد، وهو في طريقه للخروج، وضع الشاب يده على كتفه ونظر إلى وجهه وانصرف، لم يقل سوى جملة واحدة "حضرة المحترم عامر".

لو كان يعرف ما سيحدث لأخذه في حضنه ولم يتركه يخرج، ولعل هذهِ المرّة لن تتكرر.

جلس وحيدًا على المقعد الخشبي أسفل الساعة العتيقة الساكنة، لا بد لعامر من وظيفة معينة، واليوم ربما يكون الجمعة. رفع عينيه وبحث عن تقويم الحائط الورقي فعلم أنَّهُ الخميس، وأراد أن يتأكد من اليوم، لا بد أنه يوم عطلة رسمية.

يا سيد عامر، الدولة أزاحت العطلات إلى آخر الأسبوع، ما الحكمة في ذلك؟ أنت لا تعرف ولا ينبغي لك أن تعرف! ثُمَّ ما الحكمة من جعل العام توقيتين أحدهما شتوي والآخر صيفي؟ ما الجدوى؟ إنها إرادة الدولة ولا تعليق، هو نفس اليوم، أربعة وعشرون ساعة لا أكثر ولا أقل... ما العمل الآن؟ فكر وأدار الأمر برأسه، كيف يتخلص من عبء الساعات القادمة؟ وكان عليه أن يتجول في البيت ليكتشف بنفسه هذهِ الأمور، عليه أن يلعب دور فتى الكشافة، ربما يتعرف على هذهِ العائلة دون أن يسأل أحدًا، عليه فقط أن يرى ويسمع ولا يتكلم إلا قليلًا.

سلمى.. سارة.. عرف أسماء البنتين من خلال الكتب والكراسات والكشاكيل المتراصة على المكتب "تبدو اليوم وكأننا غرباء عنك؟".

قالت البنت الكبرى وهي تنظر إليهِ بدهشة، وتبعتها الصغرى في عفوية "هو كما هو ولا جديد". وسأل وهو يفرك إحدى يديه في الأخرى، وينظر خجلًا في عينيهما "كيف هي الدراسة؟". وأجابت الصغرى دون انتظار "مملة وكئيبة". وهزت الكبرى رأسها، وقالت وهي تطوي ساقيها على السرير "مدارس فاشلة، تعليم فاشل، والسبب

يعرفه الجميع... ثُمَّ برأيك ما النتيجة المتوقعة بعد التخرج؟ ما الهدف أصلًا من الدراسة؟". وانبرت الصغرى وهي تشمر عن ساعديها "أنا أفضل اللعب، على الأقل رياضة، وربما أصبح في يوم من الأيام مشهورة كمحمد صلاح، ملايين الدولارات ومتعة وسفر إلى كل مكان وشهرة، أيهما أفضل في نظرك يا بابا، محمد صلاح أم أستاذ في الجامعة؟". والكبرى أيضًا على نفس النغمة "طبيب.. مهندس.. باحث.. ممرض.. عالم... كل هذهِ المهن لا تساوي شيئًا فالدولة تحتفي بالراقصين والمهرجين". واندهش الرجل بحق من هذهِ اللهجة الغارقة في اليأس، هذهِ النغمة الممزوجة بالسخرية. تردد في الإجابة، لم يكن الأمر سهلًا في الحقيقة، هكذا اعتقد جازمًا أنَّ الأمر يحتاج إلى نقاش طويل؛ لإقناع البنات بعكس ما يتصورونه، الفشل في الإقناع سيزيد الطين بلة... لكنها أسئلة مشروعة، والنقاش فيها يبدو جدليًا، فلكل واحد وجهة نظر قد تختلف عن الآخر، كيف كان عامر يتعامل مع مثل هذهِ الأمور؟

"لكن لماذا صلاح بالذات؟".

سأل وكأنه لا يعرف الإجابة، وقد كان يجلس على المقاهي خصيصًا لمشاهدة ليفربول فقط من أجل صلاح، وأجابت البنت الكبرى ببساطة شديدة "كمثال ليس إلا، هناك مطربون، مطربات.. ممثلون.. ممثلات.. مذيعو برامج.. كل هؤلاء يتقاضون مرتبات فلكية، رغم أنهم لا يقدمون شيئًا مفيدًا في الحقيقة تكرمهم الدولة وتحتفي بهم وتمنحهم الشهادات والجوائز، ربما هم وطنيون أكثر منا، ما رأيك أنت يا بابا، هل هم وطنيون أكثر منا؟ متميزون أكثر منا؟ يخدمون البلاد أكثر منا؟ في الحقيقة الناس طبقات، طيب معقول لكن ماذا عن

ملايين الفلاحين والعمال والعلماء! أين هم من تلك التقسيمة... غريبة فعلًا هذهِ البلاد". رفع كتفيه دهشة من منطقها الذي رآه طبيعيًا، وقال في لهجة إيمانية "هذا تقدير الرب، الرب وحده يعلم، لكن كما ترين يا ابنتي، النظام هو الذي يوزع الأموال.. يبعد ويقرب، الرب لا يدفع عقود اللاعبين ولا يشتري الشاشات ولكنهم يقولون دائمًا "كل واحد ورزقه". وصمت عامر حينما قالت الكبرى بلهجة حادة "طب واللصوص وتجار المخدرات والفاسدون والمرتشون ورجال الأعمال وغيرهم.. هل هذه عدالة الرب! هذهِ ليست عدالة الرب! هذه عدالتهم هم". قال، وقد أعيته الكلمات "عدالة مَن إذًا؟!" وصمتت البنت، لكنَّهُ بعد قليل سأل "ما العمل إذًا؟ هل نغلق الجامعات والمدارس مثلًا؟ ونقيم بدلًا منها قاعات لتعليم الرقص! ملاعب رياضية، معاهد للغناء والتمثيل، ربما ذلك حادث بالفعل.". هزت البنت الصغرى رأسها باسمة، بينما قالت الكبرى "بدلًا من ذلك لا بد أن نقيم عدالة، توزيع ثروات البلد بعدالة، نحاكم اللصوص". وقال مستوضحًا "ماذا تقصدين؟". قالت البنت في تذمر واضح "دعنا من ذلك، فالنقاش في هذهِ الأمور عبثي ولا جدوى منه، وهو على أي حال لن ينتهِ". عند ذلك هتفت البنت الصغرى "فلتسقط ديكاتورية جميلة!".

ولم يتمالك نفسه من جملة الصغيرة، فأطلق ضحكة كادت أن تصل لمسامع المرأة لولا أنَّهُ وضع كفه على فمه.

نهضت البنت الصغرى وأغلقت الباب ثُمَّ جلست في حجره، تهيب الأمر في البداية ثُمَّ استسلمت له، وقالت "أنت ازاي اتجوزت ماما يا

بابا؟". لم يكن يعرف إجابة السؤال؛ لأنَّهُ لا يتذكر كيف تزوج تلك المرأة. لكنَّ البنت الكبرى قالت "لا يبدو أنّ عامر تزوجها عن حب.. ماما لا تعرف سوى الأوامر، أوامر، أوامر، أوامر، وكأننا لا نفعل شيئًا سوى النوم والمذاكرة، وهي من يتمتلك كل شيء في البيت حتى نحن". وأدارت الصغرى رأسها إليه وقالت "مش هتعمل حاجة يا عامر".

نظر في الفراغ وبسط يديه عجزًا، ثُمَّ رفع سبابته إلى أعلى وكأنَّهُ يقول "للَّهِ الأمر".

"لكن عليك أن تقوم بخطوةٍ ما يا عامر".

"مثا ماذا على سبيل المثال؟".

ونظرت البنت هنا وهناك وفكرت، ثُمَّ كأنها استعارت المفردات من الكتب التي قرأتها، أو سمعتها من الأفلام والمسلسلات، وقالت في حركات ممثلة مسرح "الاحتجاج، التمرد، العصيان، مثلا يعني، كن سبارتكوس يا عامر!". التفت إليها في دهشة عندما نهضت، وهي ترفع يديها كأنها تقول "دا شغلك أنت لوحدك يا عامر، أنا قلت اللي عندي".

عندما انتهى من غرفة البنات جلس أسفل الساعة الخشبية، تأمل الجدران والسقف، اتسعت ذاكرته بعدما تحدث مع البنتين.. انخرط في بكاءٍ صامت.. انتابه حزن شديد، شعر بأنَّهُ متعاطف معهما كما لو أنَّهُ كان فعلًا ذلك الرجل عامر، الذي كان يعيش معهما في البيت كل هذهِ الأعوام!

نهار ساخن

لساعة كاملة أمام شاشة التلفاز وهو يقلب في المحطات الفضائية. لساعة كاملة تتوارد إلى أذنيه أخبار الطائرات والمدافع التي تقصف كل مكان في ذلك الحيز الصغير من العالم.. الشوارع والبنايات والمرافق والحجر والشجر.. أصوات صراخ النساء والأطفال تأتي من كل شبر.. والجثث ملقاة في الشوارع.. وأذرع وأقدام ورؤوس مقطوعة وأخرى تيبست وتفتت... تدمير وتخريب لكل أشكال الحياة.. وأصوات استغاثات تنطلق من هنا وهناك.. أين العرب؟ أين الجيوش؟ لكنهم يدركون معنى الصمت الذي يختفي خلفه العجز أو الخيانة، إنهم يكلمون العدم، الفراغ، هكذا صار الأمر.

"إنهم يكرهون الفلسطينيين".

"كل الفلسطينيين!".

"لا يا بابا.. ال معاهم السلاح.. دا كلام العيال ال زيي".

هكذا جاء صوت البنت الصغرى، فنظر إليها دهشةً لكنَّهُ عجز عن الكلام، فردت عليه كأنها تعتذر قائلة "هذا ليسَ كلامي، إنَّهُ كلام بعض الأساتذة في المدرسة، ورغم أنَّ السيد المدير نبه في انزعاج شديد، بأنَّهُ لا حديث في السياسة وإلّا تعرضوا للتحقيق، وربما التدوير إلى وظيفة أخرى، طبعًا دي تعليمات من فوق، فوق، فوق خالص يعني.. المدير بنفسه كتب لافتة بالخط العريض، وفوقها تحذير شديد... ممنوع الحديث في السياسة، أنا مش هافقد وظيفتي ولا هادخل المعتقل

علشان حد تافه بيتكلم كلمتين فارغتين في أمور لا تخصنا، وكمان إيه حكاية العيال اللي بترفع الأعلام دي؟" وعاد للنظر إلى الشاشة، بيوت مهدمة.. منازل مدمرة.. أصوات وصراخ من كل مكان.. أجساد هزيلة لأطفال مغطاة بالدماء! استغاثات تنبعث من كل مكان.. أيها العالم الأعمى لم لا تنظر إلينا هنا؟ والأخبار تشير إلى الأسلحة التي ترسلها أمريكا والغرب بشكل مستمر، ثُمَّ تتحدث عن حقوق الإنسان وغير ذلك.

المحطات الفضائية يا عامر جعلت الحروب تدخل كل البيوت.. كأنّ العالم فضاء بلا حدود لكنَّهُ في نفس الوقت محدود، يمكن متابعة كل شيء ببساطة، فضاء بلا ضوابط كما يبدو، ورغم سعته لكنَّهُ يضيق بالفقراء.

اصمت، فهناك زوار الليل، وراء الشمس، غياهب المعتقلات... من غير المعقول أنّ هذهِ الجمل المرعبة ما زالت باقية حتّى الآن! معقول موجودة حتى الآن! يستخدم الحكام كرة القدم والدين والمخدرات والنساء لخدمة مصالحهم، فلماذا يحرمون الناس من التحدث في السياسة؟ كيلو البطيخ بكذا جنيه، فكم يبلغ ثمن البطيخة الواحدة؟ واللحوم والفواكه والخضراوات، والكهرباء والمياه والقميص والبنطلون، وكتب الأولاد في المدارس، واللبن ورغيف الخبز و..... الحرب.. التمرد.. الانقلابات العسكرية.. الفقراء هم من يدفعون الثمن، أليس الصراخ حقًا؟! في الحروب يدفعون دماءهم وأرواحهم ضريبة حب الوطن، وفي السلام يعملون خدمًا لزيادة

استثمارات رجال الأعمال المحليين، ورجال الأعمال الوافدين من الخارج.. أين العدالة هنا!؟

محدثًا نفسه في غيظ مكتوم وهو يكز على أسنانه "هذهِ ليست حربًا! إنها كراهية وحقد". قالت الشابة الكبرى، وردت المرأة من المطبخ "نحن أيضًا نخوض حروبًا من نوع آخر وفي كل الاتجاهات". وصوت الشابة الناضجة "الغريب أن ترى المظاهرات تنتشر في العالم كله، لكنك لا تراها في الدول العربية.. هنا لا حس ولا خبر". وصوت ضيف أحد البرامج من إطار الشاشة الضوئية "الحكام يخافون من خروج الناس إلى الشوارع".

"ونحن؟". صوت أخر من التلفاز.

"ونحن هنا".

سأل، وجاءت الإجابات..

"الحكام يا بابا يخافون من أمريكا، لكن صفحات التواصل لا تخلو من انتقاد الحكام، ووصفهم بكل الصفات التي يستحقونها". البنت الكبرى مصيبة كما تعرفها أمها، خرجت المرأة على عبارة الشابة، وهي تصرخ قائلة "دعكِ من هذا، والزمي دراستكِ، أنتِ ترين الأحوال والأمور هنا، إحنا مش ناقصين بلاوي، أنتِ يا مفعوصة، لسه بنأكلكِ ونشربكِ.. احترمي نفسكِ والزمي حدودكِ.". ونظر إليهما في صمتٍ أشعرهُ بالعجز، أو لعلَّهُ قال "وما العيب في هذا؟". لم يعد يعرف شيئًا عما يحدث، وربما ذلك من حسن حظه.. الخطب جلل يا هذا. نظرت المرأة إلى الجميع في تحدٍ واضح. وقالت في لهجةٍ

صارمةٍ موجهة كلامها له "متابعة هذهِ الأخبار ستقتلك أو تهلكنا بعدك.. من فضلك أدر المؤشر لفيلم، أو مسلسل أفضل من هذا العبث، التفاهات تربح الجوائز، الحياة مجموعة من التعقيدات التي لا تنتهي".

"ألا يستطيع العرب والمسلمون فعل شيء؟". سأل في استسلام.

"يستطيعون طبعًا". البنت الكبرى في ثقة.

"الصمت، الأمر لا يعنينا". المرأة في تبرم واضح.

"إنها على حدودنا الشرقية يا أُمّي".

"الأمر لا يعنينا.. اصمتوا جميعًا، لا أريد كلامًا في هذا مرّة أخرى".. في لهجةٍ صارمة آمرة.

وكررت جملتها في حنق.. ابتلع لسانه في رضوخ وحملق في الأخبار الواردة على الشاشة، وقال كأنَّهُ لم يفهم عبارتها بشكلٍ جيد "هل فعلنا شيئًا؟". ردت المرأة صارخة وقد استشاطت غضبًا وفي يدها سكين تلوح بها في وجهه "أفعالك ستصيبني بالجنون". وجاء صوت الشابة الصغرى ليحل مسألة النزاع الدائر "لديَّ مسألة حساب معقدة في الهندسة، مَن يساعدني منكم؟".

وجاء صوت المرأة ساخرًا في تهكم واضح "أبوكِ العبقري".

"ألن تنتهي الحرب هنا أولًا؟" صوت بنت الثانوية.

"مع مَن أنتِ أيتها المجنونة، أنتِ كأبيكِ".

امتعضت البنت وقالت هامسة في لهجة باردة "مع نفسي".

"دعونا من كل هذا".

صوت الحكمة يا عامر الذي يتناقش في مسائل لا قيمة لها في نظر المرأة، عند الخامسة انقطع التيار الكهربائي وانطفأت كل الأجهزة. نظر بدهشة فأجابته المرأة في سخرية "وكأنك لا تعرف!" وقالت البنت الصغرى "بالثانية والدقيقة، تخفيف أحمال يا محترم!". في الشتاء، وماذا عن الصيف؟ تمتم فجاءه الرد "اطمئن فنحن نصدر الكهرباء لأوروبا والدول المجاورة". نظر وعلى وجهه ابتسامة فضحكت البنت، وهي تضع يدها على فمها. وعندما انتهى حوار الحرب والاقتصاد، كان الشاب قد ارتدى ملابسه. لم يسأله أحد عن العمل، لقد فهم أنه ربما كان يوم إجازة، لكنَّهُ فهم أيضًا من خلال حديث المرأة والشاب، أنَّ هناك سوء تفاهم بينهما وأنَ الشاب ينظر إليها بشيءٍ من الضيق والغضب، وأنَّهُ كان حادًا في الرد عليها في بعض الأوقات.. تُرى ما السبب لكل هذا؟

وعامر قد فاته أيضًا أنه لم يكن يعرف ما بين المرأة وشقيقتها الكبرى، ولا ما حدث من ابنها كامل تجاه منى.. الولد تعلق بالشابة التي تكبره، صحيح هي لا تبادله الشعور الذي يريده هو منها، لكنَّ جميلة لاحظت ذلك فتدخلت بحدة، وصححت الأمور كما تراها من وجهة نظرها.

ورأى المرأة ترتدي ملابسها فنظر إليها دون أن يتكلم، ففهمت وقالت وقد بدت مرتبكة "سأذهب لزيارة أختي، سأصحب معي سلمى، هذا كل ما في الأمر".

وبعدها خرجت البنت الكبرى في زيارة لصديقتها في الشارع الخلفي، عندما كان جالسًا في مواجهة الساعة الخشبية رأى العقارب لا تتحرك، فرأته المرأة وهو يحدق.

"لا بد أنَّهُ الحجر، لقد تم عضعضته مئات المرات". قالت المرأة في سخرية، وقالت البنت الصغرى في لهجة مضحكة "لقد مات منذ وقت طويل... علينا أن نجلب بدلًا منه".

"هكذا قلت مرات عديدة دون جدوى"! صوت المرأة من داخل غرفة النوم.

"ربما في الميزانية القادمة". صوت البنت الصغرى.

واندفعت المرأة من الباب دون أن تلقي السلام، كل ما رآهُ في هذهِ اللحظة، هذهِ الملابس التي ترتديها والحذاء ذو الكعب المرتفع.. بنطلون جينز استريتش أسود، وقميص تعلوه سترة قطنية ضيقة، وكان شعرها مربوطًا من الخلف بشريط أزرق، وبيدها حقيبة جلدية أرجوانية على شكل قلب.

ليلة عاصفة

في الحادية عشرة ليلًا أمام التلفزيون، تثاءبت البنت الصغرى عندما نزلت كلمة النهاية على الفيلم العربي "النوم في العسل". نهضت في تكاسل واتجهت إلى الغرفة، ونظرت المرأة إلى البنت الكبرى، التي قامت بعدما أشارت لها المرأة بحركة من رأسها فأبدت الشابة تفهمًا. ذهبت في هدوء خلف البنت الصغرى.. بقيت المرأة معه، مع رجل هي تعرفه جيدًا لكنَّهُ لا يعرفها.

"لابد أنها كانت زوجتي المحبة اللطيفة في مرحلة ما، وهؤلاء أولادي بطبيعة الحال، لكن مَن أنا على وجه الحقيقة... آه، أنا عامر.. هذا ما عرفته بعد وقت طويل". حدّث نفسه.

نظرت إليهِ المرأة من طرف عينها وهي تنهض، كأنها تقول اتبعني بعد قليل، ذهبت مباشرة إلى غرفة النوم، أشعلت الضوء الخافت. دعوه للدخول يا عامر، وهذه يا عزيزي كانت ليلة الخميس كما هو معروف عند الجمهور.

ماذا سيحدث بعد أن ينغلق عليهما الباب؟

كيف سيتصرف مع هذا المرأة؟

بعد لحظات ستكون بجانبهِ لى السرير بملابس النوم، وهي تعتقد أنَّهُ رجلها القديم الموظف بوزارة الصحة، ومن الطبيعي أنْ تنام بجواره، لكن ماذا عنه؟ هو لا يشعر أنَّ الأمر طبيعي وسهل، إنَّهُ معقد وغريب بعض الشيء.. والمرأة بالفعل وفي نشاط ملحوظ قامت بعدة حركات

وتجهيزات، وضعت لمسات خفيفة من العطر على معصمها وخلف أذنيها.. رشت برفوم على صدرها.. مررت قلم الروج على شفاهها.. خلعت الروب.. ارتدت قميص نوم جديد.. ثُمَّ دخلت إلى الفراش بعد أن خلعت جوربيها. هذهِ الليلة لن ينجو منها ولن تنجو منه، حتّى وإن لم يكن يعرف، هذا لا يهم في هذهِ اللحظة، نداء الغريزة أقوى من تلك المشكلات السخيفة، لن تحتاج المرأة إلى تبريرات ولن يملك الحجة لمناقشتها فتلك المسألة لا تخضع للعقل ولا للمنطق، بقدر ما تخضع للواقع السيكولوجي والبيولوجي. الغريزة يا صديقي ونداء الطبيعة، العطر مثير فعلًا، شعر بانتعاش غريب، نفذ البرفوم إلى قاع خيشومه وشعر بأنَّهُ مثار.. هذهِ ليلةُ عاصفةُ يا عامر.. حدّث نفسه، ثم رفع رأسه إلى الوراء وجذب نفسًا عميقًا إلى الداخل، وكأنَّهُ يقول "ما العمل الآن؟!".

كان عليه أن يتهيأ لمعركة قوانينها معروفة، لكن كيف ستبدأ وبما ستنتهي! والباب موارب قليلًا.. عندئذ نهضت المرأة وأحكمت إغلاقه، رآها تنظر في المرآة لمفاتنها، ورآها تنظر إليهِ من أسفل عينيها.. الإغراء وسيلة متبعة في هذهِ الحالات وهي الأكثر فعالية.. أزالت غطاء الرأس.. بدا شعرها متهدلًا على كتفيها وكأنَّهُ لم يكن هكذا من قبل! بدا وجهها لامعًا خلال الضوء الخافت وقد أظهر الطلاء من خلال الضوء حمرة شفتيها، وعندما اقتربت منه نفدت نسمات العطر إلى رئتيه، لكنَّ شعورًا بالغربة ما زال يلاحقه وإن كانت رهبته قد زالت أو أوشكت.. كان قميص نومها الدانتيل قصيرًا عاريًا عند الصدر، وبحمالتين رفيعتين وسرعان ما دخلت في السرير.. سحبت الغطاء على جسدها، وضعت كلتا يديها أسفل عنقها ونظرت بعينيها

إلى سقف الحجرة، تنحنحت مرة واثنتين، تنهدت مرة ومرة، وهي تتمتم بصوت اشتهاء ورغبة:

"ليل الشتاء يحتاج إلى الدفء".

"هذهِ الليلة لن تمر على خير". تمتم محدثًا نفسه.

شعر باضطراب وهو يبتلع ريقه، راحت دقات قلبه ترتفع وتتزايد بينما هي بجانبهِ تصدر مزيدًا من الأصوات كحيوانات البرية عند التزاوج! وللمرة الثانية سألته بصوت يغلب عليه الحنين "ألن تنام؟ ألن تقول شيئًا؟". وشعر بقدمها تتحرك تحت الفراش حتى أحس بها، وقد لامست قدمه فخفق قلبه، شعر بخدر في جسده ثُمَّ سرعان ما منحته ظهرها، وقد بدا عاريًا أسفل عنقها من الخلف. "ظهري يؤلمني يا عامر، من فضلك مسّني". والتصقت بهِ "هل يريحك النور؟". ودون أن تنتظر إجابته مدت يدها وأخمدته.

"ألن تخلع ملابسك؟".

سألت بنبرة مرتفعة.. في هذهِ اللحظة تأكد أنَّهُ لا مفر من تلبية الدعوة، وإلا سيصبح جنديًا متمردًا، ومن ثَمَّ يستحق الضرب بالرصاص الحي في ميدان المعركة، شعر بها تقترب منه ويدها تتحسس يده، اعتدلت والتصقت به وقبلت كتفه، شعر تحت ضغط الرغبة أنَّهُ يستسلم لذلك الشعور المريح.. لحظة قادمة كسابق لحظاتها معهُ في هذهِ الغرفة، مد يده وأحاطها فوجدها في حضنه، فأغرقت وجهه بقبلاتٍ متلهفةٍ وهي تتمتم "رغم ما بيننا اشتقت إليك يا عامر، لقد مضى وقت طويل على آخر مرّة نمت فيها معك".

لكنها سرعان ما أدركت شعوره بالفتور، الذي انتاب حضنه فقالت بتوتر ملحوظ "مالك؟".

"مفيش".

"زي ما يكون معندكش رغبة!"

"لا أبدًا مش زي ما أنتِ فاكرة".

"ولا يمكن مش قادر!".

وباغته إحساس غادر وفج بالعجز فابتلع لسانه.

"المرات الأخيرة كانت كده برضو.. أنا تعبت جدًا، ما عاد لدي طاقة احتمال ولا صبر".

وصمت طويلًا أمام سيل الكلمات.

"ولا لسه علاقتك بيها مستمرة ومخلصتش؟". قالت بنبرة حادة غاضبة.

اللعنة على كل شيء، اللعنة على تفاهة الحياة، اللعنة على العجز! وأحس بها تبتعد عنهُ فمال عنها بشقه الأيمن.. وهتف داخله بالحمدُ للَّه، فالليل على ما فيه سترة.. رغم ذلك انتبه إلى وقع تلك الجملة.. هناك أمورًا خطيرة عالقة قد حدثت، لكنَّهُ لا يعرف إلى أي حد كانت خطورتها، ولا مَن هي تلك المرأة التي تقصدها، وهل كان الأمر فعلًا كما تقول أم أنَّهُ جرد غيرة نساء عمياء؟ أغرته زميلة العمل بعلاقة جنسية عندما دعتهُ لبيتها ذات مرة، قالت له وقتها أنَّ عليهِ أن يعيش حياته فالحياة قصيرة، ولا تستحق العناء، وأنَّ هناك مَن يستطيع أن

يلهمه حب الحياة، سيطرت عليه الهواجس في تلك اللحظة ماذا لو.... لكنَّهُ كان في بيتها بالفعل، وقال ردًا عليها متخلصًا في تلك الكلمات من كل ضيق وغضب كان يسيطر عليه "فليذهب الجميع إلى الجحيم بمَن فيهم أنا، وهم العقلانية".

لكنَّهُ لم يكن سعيدًا من الداخل، وحتى لم يكن عارفًا بما سيحدث في تلك المرة، ولا ماذا سيترتب عليها مع تلك المرأة، ولا ما هي خطتها بعد ذلك، الأمر لن يتوقف على ليلة واحدة، لا بد أنَّ لديها ما تريده منه، لكن تلك المرأة التي لا يعرف مَن هي قالت له مرات عديدة.. أنَّهُ إنسان بمعنى الكلمة.

نظرت تلك المرأة في عينيه بإمعان وقالت بلغة تناسب حاله وقتها "أنت رجل كامل يا عامر". ثُمَّ قبلت عينيه، وأجلسته إلى جوارها فقال بهدوء وإشفاق على حياته كلها "تخيلي، مُنذُ أن تزوجت وأنا لم أشعر أنها قريبة مني، وذلك كان يضايقني طوال الوقت.

"كنت أتساءل مع نفسي، لعلّك أنت السبب يا عامر، أو لعلّها هي السبب، لكنها لا تعرف... لكنني لم أجد الإجابة على أسئلتي أبدًا". نظرت المرأة في عينيه وقالت "لكن عليك أن تواصل يا عامر". أمسكت بيديه على حجرها وقبلت جبينه، فقال بازدراء "إنها حياة فقيرة جدًا تلك التي يعيشها بعض الناس... وكل أحوالها لا تستحق".

"ماذا قلت؟!". سأل المرأة التي تنام بجواره في استرضاء.

"لا شيء". ردت في ضيق وتبرم.

وانتهى الأمر عند ذلك، لا يتذكر تلك المرأة ولا يعرف مَن هي. هل هي نفس المرأة التي كانت تقصدها أم أنها امرأة أخرى؟

"أنا لست...". حاول أن يقول شيئًا ولكنَّهُ فضل الصمت، وهي فضلت النوم على الناحية الأخرى. أحيانًا يكون في الصمت نجاة.

الليلة بالذات كان الصمت هو أفضل إجابة لهذا الموقف الغريب لكنَّ المؤكد أنَّهُ لم يشعر نحوها بعاطفة، بدت له غريبة وبعيدة عنه بشكلٍ يتطابق مع واقعه الجديد، وربما كان الأمر هكذا من قبلها. ربما كان هذا طبيعيًا من قبل، لكنَّهُ كان يتعامل معها بحكم الواقع ليس إلا.

في تلك الليلة الأخيرة التي كان فيها معها قالت، وكأنها ستقول كل ما كان بداخلها دون توقف، ربما كانت اللحظة مهيأة لتقول وهو يسمع دون أن يقاطعها... ودون أن تعتدل، قالت "أعرف أنك لا تحبني.. هناك امرأة أخرى في حياتك، بداخلك، تفصلك عني، أنا أيضًا حاولت، لكن حياتنا لم يكن بها حب، كانت حياة زوجية مملة... اكتفى كل منا بالمحاولة للعيش.. أعرف أنَّ المشاكل لم تكن تفارقنا ولست سعيدة بهذا، لكن". لم تكن المرأة تتحدث عن المرأة الوحيدة، التي أحبها عامر في حياته وقد ذهبت، ورغم أنَّهُ حاول الوصول إليها لكنَّهُ فشل في العثور عليها، لقد كانت تتحدث عن امرأة أخرى. "لقد سمعتك تتحدث معها على الهاتف". كانت تتحدث عن ريهام جودت الثعلبي، صديقته في العمل.

لم ترها إلا منذ بضعة شهور، وربما الشاب أخبرها كما سيأتي فيما بعد.. كان يذهب إلى مكان عمل عامر ودون أن يعرف، لكنها لم تكن

متأكدة تمامًا أنها علاقة مؤكدة، كانت تفعل ما يميز النساء... الشك والغيرة لمجرد سماع صوت أنثى على الهاتف.

كل وقت يقضيه الرجل على الهاتف لا بد أن يكون مع واحدة من النساء، ريهام جودت مثلًا، وربما تلك المرأة التي يحتفظ عامر بصورتها في محفظة نقوده، لكن مَن هي ريهام جودت التي كانت تقصدها؟ تقلبت في الفراش على ظهرها، وواصلت كلامها لكن بلهجة تدل أنها كانت تتحدث بصوتٍ مختلف... صوت امرأة ربما كانت محبة.

"لم أكن أتعارك معك من أجل حاجات البيت، كنت أفعل ذلك لأنك تركتني وتجاهلتني وجرحت شعوري كامرأة، تجاهلت حاجتي كأنثى، ولا أنكر أننا كنا ننام معًا وكنت تسعدني ولست أنكر ذلك، لكن لدقائق معدودة.. كنت أحتاجك زوجًا وحبيبًا، لكنك كنت مجرد رجل ينام مع امرأة... كنت باردًا جدًا بعيدًا عن هذهِ الدقائق القليلة".

شعر بكلماتها على جلده كالنار التي لا يستطيع إخمادها، كوخز إبر حادة على أعصابه، ولم يستطع تجاهل البرد، شعر أنه في حاجةٍ ماسة ليعتذر لها عما حدث من عامر لكنَّهُ لم يفعل.

أبكته رغم ما حدث منها كما لم تفعل في حياتها، فكيف يمكن لهُ أن يعتذر لها عما حدث... الآن أدرك بعض الحقيقة الكاملة، وعليه أن يسير في طريق الاعتراف أو الصمت، هل هي كما تقول أم أنها مجرد تمثيلية لتستدر عطفه عليها، أو تجعله يشعر بالندم والخطأ في حقها، ثُمَّ تعتذر له كما كانت تفعل معهُ من قبل مرات ومرات... لكنَّ الصمت حال دون ذلك.

عودة لما حدث

منذ أسبوع استغلت المرأة وجود البنات والشاب في الخارج، فقالت بلهجة مباغتة ودون مواربة:

"ألا تشعر أنّ الحياة بيننا أصبحت صعبة جدًا؟

رفع عينيه وكأنه فوجئ بلهجتها الصريحة، لكنَّهُ قال بثبات ملفوف بمراوغة:

"وما الصعب فيه؟!".

"كل شيء، مادية ومعنوية وعائلية". بوحت عابثة.

"ياه.. لهذه الدرجة وكأنكِ لست سعيدة!". مهونًا الأمر.

"ومن أين السعادة؟!". في استنكار بالغ أجابت.

"أنا السبب!".

"في جزء كبير منها أنت السبب، أنت مشكلة، أنت لا تحبني عامر.. لا تبرر ولا تختلق أعذارًا.. من فضلك كن صريحًا وسأتقبل صمتك.. أنت لم تكن معي إلا وقت أن تريد النوم معي، في لحظتها تكون متوهجًا، رجلاً في منتهى المهارة، وأنا بالفعل أكون مستمتعة بقدر كبير جدًا، كما لو أنني طائر يحلق في الفضاء أما في غير ذلك، فأنت رجل غريب منغلق كأنك متآمر على حرماني من السعادة، أنا بصراحة لم أكن أحبك في البداية لكن مع الوقت تعودت عليك. قلت لنفسي: لم لا؟ فهو رجلي الوحيد، لكن مع الوقت هذه الفكرة لم تنجح،

واتسعت الهوة بيننا حتى أصبحنا مجرد رجل وامرأة في بيت لرعاية الأولاد، ليس إلا.. دعنا نتصارح الآن وقد نضجنا بما فيه الكفاية، أنا وأنت فقط ما زلنا معًا من أجل الأولاد فقط، إننا مجرد زوجين غريبين لا يعرف كل منهما الآخر، حتى اللحظات التي نكون فيها معًا على السرير، أشعر أنها هي الأخرى فقدت بريقها، أنت مع امرأة أخرى يا عامر.

حاول عامر أن يتكلم ويدافع عن نفسه لكنَّهُ وجد نفسه عازفًا عن التبرير.. لقد فكر في كلامها وهي تتحدث ووجده منطقيًا وطبيعيًا وما عليه إلا التسليم بالواقع.. قالت وكأنها أحست أنه اقتنع بكل ما قالته "أعرف أنك تفهمني، وليس عندي رغبة في الصراع أو الحرب معك، لكن...".

وانتظرت المرأة قرارًا أخيرًا بإنهاء العلاقة في صمت وتفاهم وليذهب كل واحد منهما لحال سبيله، أما الأولاد فقد كبروا، وفجأة ودون توقع قالت، وهي تنظر مباشرة في عينيه "ماذا لو خنتك يا عامر؟!". متى سمع منها هذه العبارة؟ وكيف استقبلها؟ توهجت رأسه بتلك الفكرة الشيطانية وصرخ في وجهها "لن يكون هناك سوى القتل!". لكنها واجهت تهديده بضحكات ساخرة، وهي تقول "أليس هذا ما حدث بينك وبين ريهام! هل تعتقد أنني لا أعرف؟".

في آخر اليوم الخميس خلا البيت، ذهبت المرأة كما أخبرته لزيارة شقيقتها، وأخذت معها البنت الصغرى سلمى، وبعدها بدقائق خرجت البنت الكبرى لزيارة صديقة في الشارع الخلفي للبيت.. شعر أنَّهُ

تحرر من الضغوط التي فُرضت عليه من بداية اليوم وحتى تلك اللحظة التي غادر فيها الجميع.

الآن وقد أصبح بمفرده، عليه أن يتفقد الغرف، ليتعرف على تفاصيل البيت حتى يقرر ما عليه فعله، بخصوص هؤلاء الناس وذاكرته التي تحتاج إلى إعادة تحديث.

اليوم الأخير مع العائلة

صباح الجمعة نزل إلى الشارع، رأى الطابق الأرضي.. شقة مغلقة وعليها قفل بارز بجانب القفل الأصلي، لكنَّ ذلك لم يلفت نظره كثيرًا. رأى دراجة بخارية تحت السلم، خرج من الباب ووقف في الشارع أمام البيت، رفع وجهه إلى أعلى، البيت أربعة أدوار فقط. نظر إلى واجهة الباب فرأى قطعة معدنية مغروسة في جانب الباب وعليها رقم ٨ رقم البيت الذي لم يعد يعرفه، قال في نفسه.

وفي الطريق ألقى التحية على بعض الناس، بعضهم رد بقوله "ازيك يا أستاذ عامر" والبعض الآخر وكأنه روتين العادة سأل عن الصحة والأولاد والعمل وباقي الأحوال.

في آخر الشارع بحث عن اليافطة التي تدل على اسم الشارع ووجدها أخيرًا.. ها هي.. شارع المحمدي أبو ليلة.. ثُمَّ وضع قدمه على بداية الشارع الرئيسي المتفرع عنه شارعه.

مشى رويدًا رويدًا ولم يسأل أحدًا، بعد مسافة كبيرة من شارعه عثر على اسم الشارع الكبير.. شارع ٤٠.

تفقد المحال التجارية الجانبية بفضول كبير.. ملابس، أدوات منزلية، بوتيكات، مكتبات، سنترال، جزار وفرارجي، مخبز، سماك، محال ملابس نسائية، حتى انتهى بصره إلى المسجد الكبير قرب نهاية الشارع، مسجد النور الكبير.

دخل وتوضأ، وصلى ركعتين حتى أذن المؤذن وصعد الشيخ المنبر، كان عنوان الخطبة يدور حول المخدرات، أضرارها وأسباب تناولها، وكيفية الوقاية منها.

ثم من باب المسجد الواسع بين الجموع خرج.. أعداد كبيرة جدًا وكان الشارع غاصًا بالناس، أطفال ورجال ونساء.. راقته فكرة الجلوس على مقهى بعد المسجد بأربعة منازل فجلس وطلب قهوة سادة، وللحيطة وفي هذه اللحظة بالذات تتحسس جيبه خشية ألا يكون به نقود، لكنه ابتسم في رضا عنما وجد بالمحفظة خمس ورقات فئة مأتي جنية، لا بد أنه أول الشهر، سأل نفسه وهو يتأمل الناس داخل وخارج المقهى.. هل يعرفني أحد منهم، هل أنا أعرف أحداً منهم؟ تساءل وهو يحاول اتخاذ قرارٍ بالعودة إلى البيت أو التجول في الشواع لبعض الوقت.

نهض بعد نصف ساعة وعاد للبيت، وكمَن يدخل شارعًا لأول مرة راح يتحسس الأرقام عن اليمين واليسار، ليعثر على البيت الموجود في العنوان الذي يبحث عنه..

أراد عامر أن يكون حقيقيًا وأن يمارس دوره كأنه عامر الفعلي، ودخل للبيت فجلس في الصالة لبضع دقائق.. ثم نهض في نشاط ملحوظ، تحمم لنصف ساعة، صنع كوبًا من الشاي، ارتدى ملابسه، تطيب، نظروا إليه في دهشة شديدة وكأنه بدأ نظامًا جديدًا لم يعتده أحد منهم.. نظرت المرأة بامتعاض وقالت في لهجة ساخرة "نمت جيدًا بالأمس؟". وردت البنت الصغرى في دفاع "عريس يا ماما". نظرت إليها المرأة بغضب واشمئزاز، ولم تقل شيئًا.. لكنَّ البنت

الكبرى هي الأخرى قالت "بابا طول عمره أنيق". وسألت المرأة في ضيق "إلى أين؟ ممكن نعرف؟" قال بصوتٍ واثق، وهو ينظر إلى الساعة الخشبية الهامدة على الجدار "زيارة لصديق قديم". قالت المرأة في لهجة ساخرة "وهل أصبح لك أصدقاء؟!". ولم ينظر إليها ولم يتكلم وخرج من الباب، لساعة كاملة وهو يدور في الشوارع المحيطة بالبيت، عرف أسماء الشوارع والمساجد القريبة من بيته، وظل يبتعد ويبتعد حتى دخل مسجدًا كبيرًا وفيه صلى العصر، ولم يكن منصتًا تمامًا لصوت الرجل، الذي تقدم للوعظ لبضع دقائق، وكان يرعد بصوته في حديث قصير عن الآداب العامة، التي يجهلها الناس في الشوارع والبيوت "تلك فضيلة أصبحت غائبة يا مولانا". نطق أحد الحاضرين في حسرة تنمّ عن عدم الرضا بما يحدث، نظر عامر إلى وجوه المحيطين به، هز رأسه في حيرة ونظر إلى قدميه في دهشة، وقد بدتا باردتين، لكنَّ ذلك لم يكن شيئًا بالنسبة لما سيحدث في بيته تلك الليلة القادمة.لم يكن حتى يتخيل أن يحدث، ولو كان يعرف ما ترك البيت، ليلة لو تخيلها ما كانت ستحدث بتلك الطريقة التي حدثت بها، لكنها كانت في انتظاره. لكنَّ الغريب في الأمر أنَّهُ لم يرَ كامل بعد آخر مرة. ما حدث يدعو الناس إلى فهم ما يحدث والتعاطف معه.

ليلة القتل

في الثانية صباحًا، ولخمس مرات متتالية، أصدر هاتفه رنينًا متواصلًا ومزعجًا، وفي كل مرة كان يمد يده في تبرم لكبس زر الرفض، مرهقًا كما يبدو، أو بالأحرى كسولًا وفي حاجة ماسّة للنوم. في تلك الليلة، مشى في الشوارع التي كان يسير فيها سابقًا حتى الواحدة ليلًا، وعندما أمطرت، دخل المقهى، وكان يحب السير تحت المطر ليشعر بتلك اللسعة الباردة، ثُمَّ بمرور الوقت يستسلم لوقع المطر ورائحته، هي الليلة الأولى التي يبيت فيها خارج البيت بعدما حدث في الليلة السابقة. أراد أن يبتعد لكي يفكر بطريقةٍ ما كيف سيتصرف فيما بعد، أراد ضبط أحواله، ربما يستعيد ذاكرته التي تم محوها فجأة، ودون سابق إنذار. تكاسل في الرد، وغمر رأسه بالغطاء حتى لا يسمع مزيدًا من أصوات الرنين، لكنَّ تواصل الرنين دون انقطاع، جعله يستقبل المكالمة على مضض. وعندما ضغط على زر الاستجابة، جاءه الصوت وكأنه يرتجف، أو يستغيث.

"عائلتك!".

"ماذا حدث؟".

"عليك أن تأتي سريعًا".

ودون أن يفكر أو ينتظر ليغسل وجهه، دخل في ملابسه، وقفز على سلالم الفندق كهرٍ مذعور. خيرًا، ماذا عساه حدث في ذلك الوقت؟

البنتان، الأم، الشاب.. كانوا جميعًا بخير.. ربما حريق أو محاولة سطو على البيت.. ربما لص حاول سرقتهم؟ كان ذلك شعورًا طبيعيًا من رجل يسمع خبرًا عن بيته، بدا تفكيرًا منطقيًا، ترتب على تلك المهاتفة التي جاءت في وقت متأخر من الليل، لم يفكر أو يندهش من شعوره الذي ظهر، وكأنه قلق أو خوف غامر من مجهول مخيف لدرجة الذعر! ربما شعوره الداخلي بتلك المهاتفة الغريبة، وما تخفي وراءها من كارثة محتملة، والشعور بهؤلاء الناس مازال يسكن داخله، وكأنه لا يزول رغم ما حدث.. بدت الشوارع موحلة ومعبأة بماء المطر الذي انهمر لربع ساعة كاملة، لكنَّ الجو رغم ذلك بدا وكأنه دافئ.. والأضواء الصادرة من أعمدة الإنارة والمحال التجارية تغمر الشوارع، وحركة الناس قليلة جدًا، ورق الشجر كان يبدو لامعًا أيضًا.. هذهِ لحظات كان يستشعرها عند سقوط المطر، وعندما وصل، رأى أفراد الشرطة على مدخل البيت، وعلى السلالم، وعلى الباب من الخارج.

ما الذي حدث!؟

اخترق الجميع ودخل الشقة، وأفراد الشرطة بالداخل منتشرون في البيت للقيام بعملهم، والمحقق جالس في هدوء، واضعًا ساقًا فوق ساق أسفل الساعة الخشبية، على المقعد الخشبي العتيق، هادئًا وكأنَّهُ يحاول ربط الأحداث التي سمعها ببعضها.

وقف أمامه يرتعش من البرد وقد زال عنه الإحساس بالدفء.

"أخبرني بما حدث؟".

ومن العجيب أنَّ المحقق سألهُ هذا السؤال، الذي يبدو غريبًا على شخصٍ لم يرَ شيئًا، بسط يده في أسى وقال:

"لا علم لدي، هذا ما أراه".

كانت الدماء في كل مكان وثلاث جثث على الأرض كانت مغطاة تمامًا!

"مَن الذي فعل ذلك؟".

تمتم في حزنٍ بالغ وقد شعر أنَّهُ المقتول... سقط على الأرض بجوار المقعد الخشبي أسفل الساعة القديمة، وهو يمسك بذراع المقعد.

"لا نعرف بعد، لكن هذا هو المسدس، وبالقطع عليه بصمات ربما تركها القاتل".

قال المحقق ثُمَّ سكت لحظات، وبعدها قال "هل هذهِ كل أسرتك؟"

وقبل أن ينطق سبقهُ صوت رجل يقف بجوار الباب "لا، هناك كامل، لكن لا أحد يعرف أين هو حتى الآن!".

نظر المحقق ناحية الرجل وتأمله بعين فاحصة وسأله "مَن أنت وماذا تعرف؟".

ولم يتحرك من مكانه، بل قال في ثقة ويداه في جيبي سرواله القطني الأبيض "أنا مصطفى جار عامر بيه.. مهندس في شركة بترول وطنية، أسكن في الشقة المجاورة له، عذرًا، الشقة التي تعلوه". وأشار بأصبعه إلى أعلى، هز المحقق رأسه وأعاد النظر إليه من أعلى إلى أسفل، وهو يرفع السيجارة إلى شفتيه، جذب نفسًا عميقًا وقال "أهلاً

مصطفى بيه". وأردف مصطفى قائلًا "كامل كان يعود متأخرًا كل ليلة، في حدود الثانية عشرة ليلًا لكنَّهُ اليوم، لا أدري لماذا تأخر كل هذا، معقول!". بدا وكأنَّهُ يريد توجيه المحقق إلى أمر ما يريده. وسأله المحقق: "ما هو غير المعقول؟". قال مصطفى "لا أدعي شيئًا، قصدت أنَّهُ ربما يكون قد حدث له أمر ما". وقال المحقق موجها كلامه لمصطفى "يبدو أنك تعرف أمورًا كثيرة عن الأسرة!" ونظر مصطفى نحوه في توجس، هز كتفيه ولم يتكلم.

"قم من فضلك واجلس هنا يا سيد، هلا ذكرتني باسمك من فضلك".

"عامر".

ثم متوجهًا له بالسؤال:

"عامر أين كنت تلك الليلة سيد عامر؟

"في فندق وسط البلد".

"هل تعمل هناك؟".

"لا، أنا موظف بوزارة الصحة".

"ماذا كنت تعمل في الفندق إذًا؟!".

"كنت أقضي ليلة بعيدًا عن البيت".

"هل كانت الأزمة عميقة إلى هذهِ الدرجة؟".

"ماذا تعني؟!".

"لا شيء سيد عامر، مجرد تأويل، أخبرني كيف عرفت بما حدث هنا؟".

"اتصل بي شخص ما وأخبرني بما حدث".

"متى حدث ذلك؟".

"منذ ساعة واحدة".

قطع حديث المحقق مَن يخبره بتمام الإجراءات، وأنّ كل شيء تقريبًا قد تم: رفع البصمات، فحص الأبواب والنوافذ، تفتيش الغرف والأَسِرَّة والدواليب، ورُفِعَت الجثث بعد تمام فحصها وقد ألقى عليها المحقق نظرته وفحصها طوال ساعة كاملة، ثُمَّ جاء ضابط صغير ليخبر المحقق أنّ الأمور كلها داخلية، ولا شيء يدل على أنها جاءت من الخارج.

"كما ترى وكما سمعت، فعندما وصلنا كانت زوجتك وبناتك غارقات في الدماء، كانت زوجتك في غرفة النوم وهنا في الصالة كانت البنتان، لم يكن هناك عنف سابق كما يبدو، بل كانت طلقات رصاص مباشرة، يبدو أنّ الأمر لم يستغرق وقتًا. ربما كانت هناك مجادلة بسيطة داخل غرفة النوم، انتهت بإطلاق الرصاص عليها ثُمَّ جاءت البنتان من ناحية غرفة نومهما، أو من ناحية المطبخ أو الحمام حتّى وقفتا هنا في الصالة، ففاجأهما القاتل بطلقات مباغتة.

هل كانت هناك أزمات بينهما؟ هل تعرف شيئًا يمكن به معرفة ما حدث؟".

"لكن مَن أبلغكم بما حدث هنا؟". سأل عامر في دهشة.

"هذا سؤال مهم فعلًا، ربما يكون المتصل من داخل البيت".

الجميع الآن محل شك واتهام، الدائرة الأقرب ثم تتسع، وحتى الآن لا توجد دلائل على أنّ شخصًا معينًا قام بالفعل، ولم يكن عامر ليصدق أنّ الشاب الذي التقى بهِ صباحًا على عجلة من أمره، من الممكن أن يكون هو الفاعل. لقد رآه جميلًا بريئًا يحمل ملامح هادئة، وكان يبدو من طلته مستقيمًا، لا يمكنهُ أن يحمل سلاحًا لهذا، فضلًا عن إمساكه بسكين ليطعن بهِ أمه. هذا جنون! ثُمَّ يوجه وبقلب بارد الرصاص إلى شقيقتيه، ما الأسباب التي يمكن أن تدفعه لذلك؟ الأمر مريب.

"مَن الفاعل؟ مَن المجرم الذي فعل بهم ذلك؟". سأل بدهشة.

"لا بد أن نعرف". قال المحقق ثُمَّ أطال النظر إلى وجهه وقال "ربما أنت يا سيد عامر".

فوجئ عامر بما قاله المحقق، وقال في ذهول "أنا؟! هذا جنون!" لكنَّ المحقق ظل على هدوئه وهو يحدق في وجه عامر، وقال ردًا على جملته "الجنون هذهِ الأيام فعل العقلاء، كان لديك الوقت لفعل ذلك، ربما دفعتك أسباب معينة لفعل ذلك، وربما قرأت عن الحوادث الأخيرة غير المعقولة.. امرأة تبيع أولادها، رجل يلقي بأطفاله من النافذة، شاب يطعن أمه وقد رأته يسرق نقودها، ومن هذا كثير.

ربما فعلتها أنت أيضًا ثُمَّ عدت إلى الفندق لتُغطي على جريمتك.. كل شيء متاح".

"لكن...".

وصرف المحقق وجهه بعيدًا عنه، كأنّهُ أنهى الكلام معه تاركًا إياه في دهشته وحيرته.

"لكنني لا أفهم، على أي أساس؟!".

لكنَ المحقق وقد ظل على نظرته قال في هدوء بالغ "علينا فقط أن ننتظر حتى نعرف صاحب البصمات على السلاح، ثُمَّ نقارنها ببصمات البعض وحينها سنعرف كل شيء، وربما فعلها كامل هذا الذي يتحدث عنه السيد مصطفى، ولِمَ لا؟

كل شيء محتمل".

ليلة باردة جدًا، أمطرت في الحادية عشرة، ثُمَّ انهمر المطر بكثافة لمدة ربع ساعة، كانت أحذيتهم ملطخة بالطين، نهض المحقق ووقف أمام الباب ونظر من خلال كشاف الهاتف إلى درج السلم لأعلى، ثُمَّ راح يصعد درجة بعد أخرى، لاحظ المحقق وجود أثر أقدام حتى انتهت الآثار عند شقة مصطفى وبعدها اختفت... عاد المحقق إلى الداخل وقال وهو ينظر إلى مطفى "لا بد أنّ الدرج قد تلطخ من حذاء السيد مصطفى". وقال مصطفى شارحا من وجهة نظره "كما ترى أيها المحقق، ربما جاء من أعلى، من البيوت المجاورة لنا بغرض السرقة لكنَّهُ لم يجد شيئًا، العجيب أنَهُ دخل دون ضجة، دون كسر باب أو نافذة، كأنه دخل بهدوء.. لكن الخطة شابها بعض القصور الذي لم يتوقعه".

"هل كانت السرقة هي الهدف؟".

سأل عامر لكنَّ المحقق هز رأسه، ومط شفتيه، ولوح بإصبعه أنّ ذلك ليس السبب...

"ما علينا سنعرف". قال المحقق وهو يتفقد الجدران والسقف.

أخرج المحقق علبة سجائر وعلبة كبريت، ثُمَّ قال وهو يحك الثقاب بكعب العلبة الأسود "ربما كان أحد من خارج البيت وربما من داخله، السيد مصطفى مثلًا، هل تعرف لماذا أستخدم الكبريت بدل القداحة، لأنّ اشتعال الكبريت لا يحدث إلا بعد احتكاك الرأس بكعب العلبة". ووقعت الكلمات على سمع مصطفى كالرصاص، لكنه قال في هدوء وهو يبتسم "مصطفى صديق العائلة سيدي المحقق ولا مصلحة له في ذلك". ورد المحقق على كلام مصطفى بقوله "في بعض القضايا التي لاحقتها كان الفاعل هو الأقرب للعائلة.. عمومًا لن نتعجل الأمور سنعرف كل شيء في وقته". قال ذلك كشأن الواثق فيما يقوم به ثم أردف وهو ينظر إلى الأسقف والجدران "سنتأكد من هذا قريبًا، لكن كما يقولون الاعتراف سيد الأدلة، عليه أن يعترف في لحظةٍ ما". ثم نظر المحقق إلى مصطفى وهو يخرج من الباب، وقال "مصطفى بيه، عليك أن تحضر لمكتبي لمناقشة بعض الأمور، سنتحدث معًا في بعض الأشياء". نظر مصطفى وقد بدا على وجهه القلق، وقال وهو يواجهه "هل...". لكنَّهُ لم يكمل فقد قاطعه المحقق قائلًا "على سبيل الدردشة مصطفى بيه". عندئذ نظر مصطفى وقال وهو يبتسم "يسعدني ذلك حضرة المحقق كوزمو.. أنا في خدمة العدالة".

"من أين عرفت هذا الاسم؟".

"من حديث بعض أفراد الشرطة".

"لا تنس مصطفى بيه، أريدك أن تمر على مكتبي لنتحدث معًا في بعض الأمور، في حدود الثانية ظهرًا".

"تحت أمرك كوزمو باشا.. يسعدني ذلك".

وقف عامر خاويًا، شعر أنه عاجز عن الفهم، أو إدراك ما حدث، ما هو التصرف الطبيعي تجاه ما حدث؟ قُتلت المرأة التي استيقظ على رؤيتها جانبه منذ يومين لا أكثر أهذه مفاجأة! وشابتان صغيرتان، وذلك الشاب المتهم بقتلهم، وهو ما زال حيًا. نظر في وجوه الجميع، كان البيت ممتلئًا بأفراد الشرطة، بعض الجيران خارج البيت، مَن هؤلاء الجيران وما كانت علاقتي بهم؟ مَن هذا الرجل الذي اتصل بي وأبلغني الخبر؟ وعندما انتهت الشرطة، أخبره المحقق أنه سيحصل على هواتف المنزل حتّى يفحصها جميعها، ثُمَّ يعيدها إليه بعد ذلك.. مَن القاتل هنا؟

فضفضة

تعرف يا عامر، كنت دائمًا أعشق النساء المنفصلات، كان لدي حساسية شديدة نحوهن، لا أعرف بالضبط السبب في ذلك! أهو ضعفي أنا أم طبيعتهن بعد الانفصال؟ كنت أشعر أنهن كائنات ضعيفة وبحاجةٍ إليّ، كأنهن يناديننني إليهن..

الاحتواء أمر ضروري ومهم في حياة المرأة، وأنا أتفهم الأمر بطريقة واضحة، بل ولا أخفي عليك، أكاد أسمعه وأشمه في المرأة التي تفتقده.

ونظر عامر وكله دهشة، بينما دخان السجائر والحشيش في تلك الليلة كان يغمر الغرفة، ولم تكن زوجة مصطفى بالبيت، وتحت تأثير الخمر تحدث كُلٌّ منهما بأريحية تامة.

واستمر مصطفى في الحديث كأنه يقف أمام مرآة..

وأنا صغير، كانت نساء كثيرات يدخلن على أبي في محل تجارته الكبير، وكان أبي يجلس خلف مكتب صغير، يراقب العمال وحركة البيع. النساء يبتسمن له، يقلن له كلمات حلوة.. إحداهن تعبث بشعرها والأخرى تضع يدها على صدرها بحركة مثيرة.. كان أبي في الأربعين، وكان رجلًا قويًا ووسيمًا لكنَّهُ كان مستقيمًا، أشهد لهُ بذلك، لكنَّهُ أيضًا كان حازمًا معنا.. رجل يؤمن بفلسفة معينة خلاصتها التنشئة القوية تنتج أفرادًا على درجة عالية من المسؤولية والكفاءة، لكنني أدركت مبكرًا أنه يهوى النساء، فقط يهوى الاستماع لكلامهن، حركاته، ضحكاتهن، ليس أكثر من ذلك، وكن يستغللن طيبته لكنَّهُ

كان يدرك ذلك تمامًا، ويعي مرادهن.. كان الرجل يتسم بالحرص الشديد، ربما أخذت ذلك عن أبي، عشق النساء، جميلة امرأة مذهلة، تشبه الحوريات ولكنها امرأة متزوجة، وكانت عينا عامر بين اليقظة والنعاس، فقال دون أن يشك بالأمر "تقصد جميلة مراتي!". عندها انتبه مصطفى لتلك العبارة التي أفلتت من لسانه دون قصد، فسارع بالنفي "لا طبعًا، إنها امرأة زميلة لي في عملي أنا، لكن مشكلتي معها أنها امرأة متزوجة، وأنا لا أفضل أبدًا المتزوجات، مشاكلهن كثيرة".

ونظر إليه عامر بشك وهو يناوله لفافة التبغ "هل تريد أن تتزوج يا مصطفى وأنت متزوج أصلًا!". قال عامر وهو يداري ابتسامة. والتفت إليه مصطفى، وقد شعر أنّ عامر تراخى حتى انزلق من فوق الكرسي إلى الأرض.. لكنّ عامر استمر في الكلام "هل تعتمد على هذهِ الأقراص يا مصطفى؟". نظر إليه مصطفى وقد ارتخت أجفانه وابتسم، وتطلع إلى وجه عامر، وهو يتابع إزاحة أكواب الخمر إلى جوفه "أنت تعرف يا عامر كما أعرف أنّ الرغبة والقدرة أمران مهمان في هذا الأمر، أستطيع التحكم في هذا الأمر لكنني أريد جرعات أكثر وأكثر، فأنا أعشق تلك الممارسة بشكل دائم. وقال عامر "هذا طبيعي جدًا، أما أنا فلم أستخدم هذهِ الأشياء أبدًا، أنا طبيعي جدًا". عندها هتف مصطفى مصفقًا ثم ضرب على صدر عامر وقال "أنت لا تستخدمها، أنت طبيعي، أسد عامر، عاش الأسد". وحاول عامر النهوض للجلوس فوق المقعد، لكنَّهُ أخفق فعاد إلى مكانه في الأسفل على الأرض، وهو يقول بلهجة الناصح "يجب أن تنتبه يا مصطفى، فهذه الأقراص قد تهلكك".

تنهد بعمق وهو يسحب نفسًا من اللفافة، وواصل كلامه "السيدة زوجتك امرأة جميلة، لعلها تساعدك في ذلك دون حاجة لهذه المنشطات". وتمتم مصطفى وقد خلا وجهه من المرح، وبدت عليه الكآبة "نعم جميلة لكنها باردة". ولم يتثنى لعامر أن يسمع بوضوح ما قاله فسأله مصطفى ليتأكد "هل تعتقد ذلك فعلًا؟". وتسأل مصطفى وكأن الخيوط أفلتت من بين يديه "أعتقد ماذا!" ورد عامر متسائلًا عما يقصده مصطفى "أنّ هناك طريقة أخرى لذلك مع النساء". قال مصطفى "أعتقد أنّ الأمر في بعض الأحيان يكون صعبًا.. أه.. وأنت يا عامر، هل تعاني مشاكل في هذه الناحية؟"

"أنا.. طبعًا لا؟" قال الرجل بلهجة قاطعة.

"لماذا تعتقد ذلك؟".

"لأنني..." ثم كأنه غاب عن الوعي للحظات.

"أه، لقد ضبطتك يا أسد.. جميلة ليست راضية عن أدائك يا بطل.. كشفتك أيها المحتال المخادع". قال مصطفى، وهو يلوح بإصبعه في الهواء علامة الانتصار.

" لا، لا، الأمر ليس كذلك.. إنها فقط مشاكل عادية، أنت لم تفهمني بطريقة صحيحة".

" أخبرني فأنا صديقك، أنا أعرف سلوك النساء بشكل أقرب إلى الحقيقة.. هن لا يشبعن من شيء أبدًا.. ثم هن أيضا يخفين رغباتهن الداخلية في انتظار أن يحققها الرجال".

"رغبات داخلية". قالها عامر وهو يقلب شفتيه.

"أنت تفهمني ولكنك تتلاعب بي".

وحاول مصطفى في إلحاح أن يعرف ما يخفيه.

"ليس الأمر كما تظن".

" ما الأمر إذًا؟".

"المشاكل أحيانًا تقتل الرغبة في النوم".

فتح مصطفى عينيه على اتساعهما، وقال كأنه يحذره "لكنني أنصحك ألا تخبر أحدًا بذلك، الناس يستغلون الفرص". ورد عليه في ثقة تامة " ليس هناك ما أخبر به". ومصطفى يلح عليه قائلًا "أخبرني فأنا صديقك"، ورد عامر بدهشة " أنت صديقي! لماذا تصر على معرفة ذلك". ومصطفى باسمًا "لأننا أصدقاء يا غامر". وأجاب وهو يمعن النظر بعينين مرهقتين ذابلتين: "طبعًا، طبعًا". وراح يتحدث... حدث ذلك قبل وقت طويل من ليلة الحادث.

معاناة

عندما انفضَّ كل شيء بقي وحده داخل الشقة، انصرف الجيران بعد تقديم التعازي.. كلمات، كلمات، كلمات.. البقاء لله.. خالص العزاء.. الرحمة والمغفرة للراحل.. الله يصبرك.. وهل الدُّنيا إلا كلمات؟! ثُمَّ تبقى الأحزان لأصحابها، قليل من الدعم النفسي لا بأس به وبعدها النسيان، لكنَّ النظرات كانت تسأل وبطريقةٍ بدت سيئة لماذا حدث ما حدث وكيف؟! وبقي شخص واحد معه، عرفت صوته عندما تكلم، لا بد أنه مصطفى جاره..

لكن مَن هو مصطفى هذا؟ بدا له أنَّهُ لا يتخطى الأربعين من عمره بحال، طويل وممتلئ قليلًا، لكنَّهُ يبدو رياضيًا بالنسبة لتفاصيل جسمه، لكن صوته يدل على مدى حزنه البالغ، متأثرًا بشكلٍ يدل على عمق علاقته بأهل البيت، وبعامر على الأرجح كأنها علاقة قوية، هل هكذا كان الرجل؟

"أنا معك في كل شيء، لقد كان كامل صديقي، كنت أعرفه ذلك الشاب جيدًا، إنه نقي جدًا، لا يمكن أن يفعل هذا أبدًا، أنا واثق من ذلك". ونظر إليه عامر فرأى دموعًا في عينيه، فقال بحسن نية "الظاهر أنك مهتم.. أشكرك لكل ما فعلته". وانصرف مصطفى عندما سمع صوتًا قادما من أعلى يستدعيه لأمر هام، وبقي عامر وحده داخل جدران الشقة، كانت منذ يومين فقط ممتلئة بكل شيء، كيف اختفى كل هذا في لحظات دون أن يعرف مَن هؤلاء؟ وماذا كان معهم؟

هذهِ الغرف والفرش والأسرّة والكتب، أدوات التجميل، دواليب الملابس والأحذية التي كانوا يلبسونها، تلك الأواني التي كانوا يقومون بالطهي وتناول الطعام فيها، المطبخ ومحتوياته، بقي وحيدًا وسط فوضى ضاربة في كل مكان، هنا كانت البنت الصغرى والأخرى الكبرى، هنا نظرت له المرأة بطريقة عتاب أو لوم.. هنا كانت المعركة ستنشب بينه وبينها لولا أنّ البنت الكبرى أوقفتها، وهنا قال الشاب أنّهُ سيتأخر، لم يرَ ملامحه بشكل يملأ العين، ولا سمع صوته بشكل جيد، كيف كان هذا الولد؟ وما كانت العلاقة بيننا؟ هل ترك البيت غاضبًا مني؟ هل كان يحبني؟ كيف سأعرف كل ذلك بعدما حدث؟ يتساءل عامر وهو يتفقد البيت ويبكي، وتمنى في تلك اللحظات لو كان بمقدوره أن يوقفه ويأخذه في حضنه، ويشبع قلبه من النظر إلى وجهه ويملأ أذنيه بصوته.. لكنَّهُ خرج سريعًا.

"أتعرف يا عامر ما الذي يجعلني أتحمل العيش معك في هذا البيت حتى الآن؟" رفع عينه ونظر إليها كأنه أراد أن يسمع منها، أنها ستحدثه عن إيجابياته، وربما أقرب إجابة فكر فيها أنها ستقول من أجل أولادي، لكنها فاجأته برد لم يتوقعه.. "لأنّ لنا جيران طيبين جدًا مثل السيد مصطفى".

فتش في قائمة الأسماء الموجودة في هاتف عامر.. وجد رقمًا لامرأة تدعى ريهام ومدون أمامها بخط عريض.. صديقة عمل.. لم يخبرها بما حدث، لكنَّ الذي لاحظه فور سماع صوتها أنها قالت في سرعة عامر.. عرف أنها فعلًا كما هو مكتوب، طلب منها دون دخول في تفاصيل، ودون إطالة وقت معها أن تنوب عنه لطلب إجازة مرضية؛

لأنّ لديه ظروفًا قهرية في المنزل. حاولت ريهام أن تعرف بعض التفاصيل لكنَّهُ كان مقتصدًا في الكلام وقاطعًا، فتش في الهاتف الخاص بعامر، بحث في قائمة الأسماء المدونة بالهاتف، أخي أمجد.. أختي الكبرى.. أختي الصغرى.. كامل ابني.. جميلة زوجتي.. سلمى ابنتي الصغرى.. سارة ابنتي الكبرى.

بحث في هدوء داخل الغرف، في الكتب، الملابس، الصور الموجودة على الجدران، الأحذية المتراصة خلف الباب في جذامة خشبية، كل شيء.. كان ذلك صباح السبت بعد أن رحل الجميع وتركوه بمفرده.

سلمى عامر، تلميذة في الصف الأول الإعدادي، لا تحب مادة الرياضيات، متوسطة في اللغات، كتبت في إحدى صفحات كشكول الرياضيات ما يلي "فصلنا به متمردون ومتمردات، في الحقيقة ليس هناك فرق كبير بين الأولاد والبنات في هذهِ الناحية، بل ربما كانت البنات أسوأ من الصبيان.. ناقمون وناقمات.. يتصرفن مع المعلمين بوقاحة.. تدور معظم الأحاديث عن الفن والممثلين والمطربين ولاعبي كرة القدم والألعاب التي تملأ هواتفهم.. بالمناسبة، أنا أملك هاتفًا قديمًا، إصدار لا يمكن تحديثة.. المدرسون غاضبون من تلك الطريقة التي يتعامل بها الأولاد والبنات معهم حتى عندما كتب معلم الرياضيات مسألة على السبورة، وطلب منا التفكير فيها، كانت المسألة تتطلب مجهودًا للوصول إلى الحل، لكننا تشاغلنا بالكلام في أمور أخرى.

بعضهم حاول معرفة الحل من زميله، الغش سيد الموقف، الرغبة في التعليم هزيلة جدًا، ليس لديَّ صديقات بالمعنى المفهوم، ربما واحدة..

أما عن البيت، فأمي لديها مشاكل مع أبي من ناحية مصروفات البيت، دائمًا ترفع صوتها، يتحدثان بصوتٍ مرتفعٍ عن المعيشة والناس من حولنا..

تتحدث أمي عن البيوت الأخرى التي تعيش أفضل منا، حظها سيء كما تقول، يغضب أبي ويخرج تاركًا البيت.

أما أبي، فهناك ما يجعله غريبًا صامتًا في معظم الأوقات، لا أكرهه ولا أحبه بالشكل الكافي، لكنَّهُ ربما يتحمل العبء الأكبر كما يقول لأمي دائمًا.. البيت كله على رأسه.. هي تقول نفس الكلام.. فواتير الكهرباء والغاز، والإيجار والأقساط، والدواء والملابس والتعليم... لم يحقق لي كثيرًا من طلباتي".

ليس لديَّ حذاء جديد ولا حقيبة جديدة، أستخدم نفس ملابس العام الماضي، في الحقيقة لست وحدي أفعل ذلك، هناك أخريات في الفصل مثلي.. مصروفِي قليل بالنسبة لمصروف أخريات.. تقريبًا ثلاثة أضعاف مصروفِي.

في أحيان كثيرة وعندما تصرخ أمي يقوم أبي بتجاهل الأمر.. لا يرد عليها.. كأنه يحاول تجنب الصدام معها، ينهض إلى البلكونة ويدخن سيجارة، لكنَّ أمي تستمر في الكلام متهمة إياه بالتقصير، وأنه لا يقوم بالمطلوب كباقي الرجال.

أما الأخرى فهي سارة عامر..

طالبة بالصف الثاني الثانوي..

الحياة ليست جميلة فيما يبدو، هنا المعاناة متجسدة، أو كما قال سارتر الفيلسوف الوجودي، فأنا أحب مادة الفلسفة.. الآخرون هم الجحيم.. هي الأخرى تتحدث عن العلاقة بين أفراد الأسرة وعلى الأخص علاقة أبيها بأمها، معظم المشاكل الزوجية تأتي من خلال تلك الأشياء الغبية.. الفواتير والأقساط، الأعباء المالية الوقحة، ماذا يحدث لو اختفت النقود تمامًا وعاد الناس إلى عصر المقايضة؟ ماذا أفعل؟ يصرخ بابا في غضب، وماما هي الأخرى تصرخ في ضيق وأسى، لقد كرهت حياتي، أنتَ مَن أجبرني على ترك العمل، لو كنت أعمل الآن لكنا استفدنا من المرتب.. تلك مقدمة تبدأ بها المرأة دائمًا.. أنا لم أفعل يا امرأة.. أنتِ تركت العمل برغبتكِ، لقد كرهت العمل بسبب القطاع الخاص وما يفعله أصحاب الأعمال، قلتُ أنهم يتصرفون معنا وكأننا عبيد.. تعترف أمي بينها وبيننا على ذلك..

أمي عصبية، وأبي لا يريد افتعال المشاكل، إنه رجل مسالم جدًا كما أراه، لكن عندما يحدث الصدام ينفجر في عصبية وفي كل مكان، يصبح شخصًا في غاية الشراسة، وكأن لسان حاله يقول "أنا أحاول أن أسيطر على غضبي طيلة الوقت، ولكن لا تعولي على ذلك طيلة الوقت. حينها أضع السماعات في أذني وأذهب بعيدًا عن العالم كله، البيوت لم تعد سعيدة، مَن التي ترغب بعد ذلك في الزواج؟ كل شيء في حياتي سيء، الحياة باهظة التكاليف، وليس من الحكمة أن أحملك ما لا تستطيع، لكن بالنسبة لي أنا غير حية. أنا كائن تعيس. أتعرف يا أبي بماذا كنت أحلم؟ بيت صغير بهِ حديقة خلفية محاط بسور مرتفع تلتف حوله أشجار السرو والكازورينا وبداخل السور أحواض منسقة

بزهور الورد والياسمين، نلك التي يتحدث عنه نزار قباني في أشعاره، ولكل واحد منا غرفة خاصة به وحده لايشاركه فيها أحد، بها سرير كبير ودولاب ملابس، بداخله كل ما أحتاجه من الملابس والأحذية، أرضية الغرفة مكسوة بالسجاد الفارسي، والحوائط منقوشة بالزهور والفراشات، وبعض الصور الطفولية التي تناسب عمري، مكتب من خشب الورد مغطى بمفرش بديع مطرز يدويًا ومحلى بالصداف يعلوه كمبيوتر شخصي، وشاشة حائط cd، ونافذة مطلة على الحديقة الخلفية..

هذا حلم صحوت عليه، لا، كأنه كابوس.

مقتل المرأة وطفلتي هكذا في ليلة واحدة، ثُمَّ تذكَر المناقشة التي دارت بين البنت وأمها عن المعيشة، لقد دار بذهنه أنهم جميعًا كانوا يعانون بشكل أو بآخر، كُلٌّ منهم كانت لديه مشاكله، لكنَّ الضغوط كلها كانت تنصب على كاهل عامر، الذي كان يبدو في كثير من الأحيان أنه عاجز عن فعل شيء، ربما كان يعافر للخروج من كل مأزق لكنَّهُ أيضًا كان يشعر بحياته تتضاءل بشكل كبير، شعر بالضيق والقهر في غالب الأحيان، تلك النظرات التي تأتيه من الجميع، بأنه لا يستطيع إعالتهم بالشكل المطلوب، هي الطعنات المكتومة، لكنَّهُ كان يجادل في كل مرة بأنه ليس المسؤول عما يحدث، وأنّ الجميع يعاني مثلما يعانون.

وتمتم في ضيق وأسى "هذا البيت كان يعاني من مشاكل كثيرة ولا شك، هل كنت أنا هذا الرجل عامر؟ كيف كانت حياتي قبل هذه الليلة.. هل كنت سيئًا وفاسدًا إلى هذا الحد..؟!".

عما حدث

فتش في الملابس، الأحذية، الحقائب، وشعر حينئذ بحزن عميق في قلبه.. في الحقيقة ودون عناء كبير هطلت دموعه.. سارة وسلمى وتلك المرأة العصبية (جميلة) هل كنت هنا طيلة الوقت في هذا البيت وبين تلك الجدران؟

ماذا كنت بالنسبة لهم؟ ماذا فعلت لهم وبهم؟

هل كان عامر يحبهم ويخاف عليهم؟

هل كان بإمكانه إسعادهم بأكثر من ذلك؟

فتح ألبوم الصور الضخم.. عثر عليه في درج دولاب الملابس بغرفة النوم، رأى صورهم جميعًا في البيت والمصايف، والمناسبات المختلفة.. توقف عند صور معينة، صورته وهو معهم، كان موجودًا ضمن إطار صور كثيرة، لكن تلك التي توقف عندها كانت صور زواج عامر من تلك المرأة بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٢٥.. أصعب اللحظات عندما تجد نفسك محاصرًا من كل ناحية، ولا تملك طريقة واحدة للرد، عند تلك النقطة تشعر بالألم يحاصرك من كل اتجاه..

ثُمَّ توقف عند صورة معينة.. صورة زفاف لرجل وامرأة.. نظر في الصورة ودقَّق النظر.. كانت صورة زفاف لامرأة تُدعى منى ورجل يُدعى أمجد بتاريخ قريب.. بضع شهور تقريبًا، كان هناك أيضًا ضمن إطار الصورة، ربما كنت زميلًا لها في العمل وبالتالي كنت مدعوًا هناك، أو ربما كنت من أقارب العريس.. يقول في نفسه.

نظر في خلفية الصورة فوجد مكتوبًا في الخلف منى وأمجد ذكرى أجمل زواج، جاره مصطفى كان قد أخبره بعدة أمور مهمة ليلة الحادث، قال مصطفى ضمن ما قاله له "كانت الساعة في حدود الثانية عشرة ليلًا، قبل انقطاع التيار الكهربائي للمرة الثانية، كنت واقفًا في بلكون الغرفة المطلة على الشارع، ورحت أنظر هنا وهناك، ذلك إحساس طبيعي، كنت أعرف أنّ التيار الكهربائي على وشك الانقطاع، لمحت على رأس الشارع الدراجة البخارية التي يمتلكها كامل، كان يرتدي الخوذة على رأسه، لم أشك لحظة واحدة أنَّهُ هو، أعرف جيدًا شكل دراجته، بعدها بقليل جدًا وقبل انقطاع التيار، رأيت سيارة بيجو بيضاء تقف على رأس الشارع، ثُمَّ انقطع التيار، لكنني تابعت أضواء دراجة كامل.. وقف أمام البيت ونزل من فوقها، أدخل الدراجة واختفى، عاد مبكرًا هذهِ الليلة بساعة تقريبًا، لكنني لم أندهش كثيرًا، ربما أنهى عمله مبكرًا، انسحبت إلى الداخل لأتفقد الأولاد، في هذهِ اللحظات الأولى من انقطاع الكهرباء.. بعد قليل سمعت صوت أقدام صاعدة فقلت لعله لم يكن كامل، سيظل التيار الكهربي منقطعًا لساعة كاملة، فصلت كافة الأجهزة الكهربية، يعود التيار الكهربي منخفضًا أو مرتفعًا مما يؤثر على سلامة الأجهزة.. جلست في قلب الصالة مع هاتفي المحمول.. كانت زوجتي في غرفة النوم مع الأولاد، هذهِ اللحظات تبدو مناسبة لكي تلعب معهم على الهاتف ألعاب جماعية مسلية، ولا مدارس فغدًا السبت عطلة رسمية، ثُمَّ نحن في عطلة منتصف العام الدراسي.. كان الصوت القادم عبر غرفة نومي مرتفعًا لدرجة أنَّهُ شتت أفكاري عن متابعة البحث عبر هاتفي، كنت أقرأ بوستًا خاصًا عن رواية اللص والكلاب أو ربما كنت أشاهد بعض

الصور.. لا أتذكر تحديدًا.. كانت أصوات الكلاب أيضًا تأتي من الشارع عبر نوافذ الشقة، متواصلة ومزعجة، وجارنا في البيت الملاصق لنا يقتني كلبًا غريبًا، ظل ينبح لوقت طويل.. مع ذلك التقطت أذني عبارة واحدة قادمة من شقتكم... "أنت بتعملي إيه هنا؟". كل ما فكرت فيه في تلك اللحظة، أنّ الأُمّ ربما تخاطب أحد أولادها كما تفعل في أوقات كثيرة، حاولت أن أصغي إلى المزيد ليس عن فضول ولكن مجرد أن أطمئن على الأسرة، لكنَّ الأصوات انقطعت فجأة، خمنت وقتها أن المشكلة قد انتهت، والهواتف التي كنت أسمعها في كل الليالي التي سبقتها لم أعد أسمعها.. انتابني الشك رغم ذلك، انتابني قلق عارم، لكنني أبدًا لم أظن أنّ شيئًا قد حدث في هذا الوقت من الليل ولم يخطر ببالي وجود لص كما حدث سابقًا في بعض المنازل وذلك يحدث بشكل مستمر أثناء انقطاع التيار الكهربي، فهو وقت مناسب للسرقة خاصة إذا لم يكن أصحابها بها، لكنني قلقت فعلًا، سألتني زوجتي قائلة "ما الذي يقلقك؟". قلت لها ما سمعتهُ، فقالت لي "ربما كان الأمر مع كامل أو سارة كما يحدث دائمًا، ثُمَّ هناك السيد عامر لا بد أنَّهُ سيتدخل ليحل المشكلة". هززت رأسي وسكت.. لكن الشكوك ساورتني.. خرجت أتفقد الغرف وباب الشقة، تأكدت من غلق باب الشقة.. خرجت الى شرفة الغرفة ونظرت إلى الشارع فوقعت عيني على أخر الشارع، لكنني لم أرى شيئًا، فعدت إلى الداخل.

تزايد القلق داخلي فقررت أن أخرج لأعرف ما حدث، نزلت على السلالم، وعندما وصلت إلى باب الشقة رأيت الباب مفتوحًا، تأكدت أنّ قلقي أصبح واقعًا، دفعت الباب بحذر ورأيت ما رأيت.. تلك هي

الرواية التي ذكرها لهُ مصطفى، بخصوص ما حدث ليلة القتل.. وهي نفس الرواية التي سمعها المحقق كوزمو على لسان مصطفى.. وسأله عامر كمن لا يعرف عما كان يفعله كامل في هذا الوقت بالخارج فأخبره مصطفى أنّ كامل يعمل عازفًا مع فرقة موسيقية.

بداية بسيطة

عرفت عامر للمرة الأولى داخل سيارة ميكروباص، كان يجلس بجانبي، مجرد شخص عادي جدًا يجاورني في المقعد.. كنت بجواره لأنَّ مقاعد السيارة كانت صغيرة، لكنَّهُ بدا كأنه لم يهتم، ولم يشعر حتى بي رغم أنني كنت ملتصقة بهِ تمامًا.. شغف رجل بلمس فخذ امرأة، داخل سيارة تهتز أثناء حركتها، ذلك أمر مثير، ثُمَّ تبدأ مناوشات للمزيد من التلامس، لقد تعرضت لذلك مرات كثيرة.. نظرت له بطرف عيني، كان ينظر من النافذة غير مبالٍ بشيء، أثار غيظي فحاولت لفت انتباهه، فحركت جسدي كأنني أحاول تغيير وضع لم يكن مريحًا لي، حتى لمس جسدي جسده لكنَّهُ لم يتحرك.. أغاظني بشكل جعلني متوترة وغاضبة مما جعلني أغامر، التصقت بهِ بشكل أكبر، عند ذلك التفت وكأنه تفاجأ لكنَّهُ لم يتحرك، نظر إلي من طرف عينه، نصف نظرة، وتابع النظر من النافذة، لكنني شعرت بل وأدركت أنّ هذا الرجل يستحق التأمل والتفكير.

في ذلك الوقت، كنت أعمل أخصائية اجتماعية في إحدى المدارس الخاصة، ولم أكن في هذا الوقت مرتبطة بأي علاقة من أي نوع لكنني كنت مطمعًا لشبان كثيرون في منطقتي، كان يقال عني أنني فرس يحتاج ترويضًا، وكانت لي أحلام كبيرة ونزوات صغيرة، في اليوم التالي تعرفت عليه بشكل مناسب، على ما يبدو أنّ هاتفي في اليوم السابق انزلق مني دونَ أن أدري، لقد فقدت الأمل في العثور عليه، فالعادة أنّ التليفونات المفقودة لا تعود، ولم أكن متأكدة في أي مكان

فقدته، حاولت الاتصال على هاتفي من رقمٍ آخر، فأجابني رجل بصوتٍ عميقٍ متأن، وبكلماتٍ مقتضبة، وقال في هدوء وبصوتٍ رخيم استولى على حواسي "هاتفك معي لكنني لست متفرغًا اليوم، غدًا نلتقي في مكان ما". هل أُغرمت به؟ لست متأكدة من ذلك لكنني عرفت أنَّهُ أمين إضافة إلى ما كان بالأمس، والتقينا ذات مساء. كنت جميلة كما أرى نفسي في المرآة دائمًا، ليس الوجه فقط، لكنني كنت أمتلك قوامًا بديعًا.. كانت عينا عامر رماديتين.. هذا ما لاحظته من اللقاء الأول، لكنَّ جمالي لم يكن السبب الرئيسي لزواجهِ مني، كان عامر يهرب من ماضيه، كان حزينًا معظم الوقت، يسيطر عليه صمت وكأنَّهُ يناسب شخصيته تمامًا، متحفظا بشكل كبير ويتحدث بكلمات قليلة قاطعة، كأنَّ شيئًا ثمينًا ضاع منه ويفكر فيه كيف ضاع! وكيف لم يتمكن من استعادته؟

وفي أحيان يغضب بسهولة، وكأنَّهُ يدافع دون قصد عما بداخله الذي لا أعرفه! اكتشفت ذلك فيما بعد، ذات مرة نسي عامر محفظة نقوده في البيت، دفعني الفضول لمعرفة ما فيها، كانت تلك المرة الأولى التي تمتد فيها يدي لمحفظته، وجدت بداخلها صورة شابة جميلة.. جميلة جدًا وبشكل غير معقول، وكان مكتوبًا خلف الصورة إلى الأبد مع حبي، عرفت أنها حبيبته، لم أحزن لأني عرفت بوجود صورتها داخل محفظة نقوده، مواجهة لصورته في نفس المحفظة لكن ما أحزنني هو احتفاظه بالصورة بعد كل هذه السنوات، كان قد مضى على زواجنا أكثر من عشر سنوات ومع ذلك لم يخبرني عنها.. رأيت أنّ ذلك دليلًا لا يقبل الشك أنها مازالت داخله، ينام بها ويقوم بها، ولا

تنفصل عنه إلَّا تلك الدقائق التي يقضيها بحضني وربما كان يراها داخلي أنا، أتعرف شعور المرأة عندما تعرف ذلك؟

عندما تكتشف المرأة أنّ في حياة رجلها الذي تعيش معه امرأة أخرى تعصف بها الأهواء، قد تحسب أنّ الأمر مجرد غيرة امرأة حمقاء من امرأة أخرى أكثر حمقًا.. لا، هذا تفسير خاطئ فالأمر أكبر من ذلك بكثير، ذلك أمر يتعلق بكرامة النساء.. بعقلها.. بالتفاصيل التي تتقن قراءتها.

نحن النساء لسن معقدات ولا غريبات أطوار، نحن نساء مختلفات جدًا في شؤوننا عن أمور الرجال، وحياتهم الخاصة.

ويا عزيزي البعيد أنا لست بخير، لم أسأله عنها وقتها، ولم يعرف أبدًا أنني عرفت..

ربما تصور من نفسه أنني لا بد فتحتها بدافع الفضول، لا يمكن إغفال هذا التصور، لكنني تأكدت في تلك اللحظات أنَّهُ لم يحب غيرها خلال علاقتنا التي استمرت حتى الآن، في العام التالي لزواجنا أنجبنا كامل، كانت حياتنا على الرغم من ذلك هادئة، على الأقل خلال العشر سنوات الأولى من الزواج، لم تكن لدينا مشاكل مالية كثيرة، لم تكن نعيمًا كاملًا ولا جحيمًا خالصًا، لكنها كانت تخلو من البهجة الطبيعية، التي كنت أتوق اليها وأحلم بها، لم يكن عامر قاسيًا ولا وحشيًا، لكنَّهُ كان كثير الصمت، منعزلًا، يمكن القول أنه طراز عتيق من الرجال، وكنت أعرف السبب، بعض الرجال رغم ذلك لا ينسون الحب الأول، وخاصة رجل مثل عامر، كان يدخن لكنَّهُ امتنع بعد ذلك رغمًا عنه عندما غلت الحياة، وأصبحت باهظة التكاليف، امتنع عن شرب القهوة

زهد في الحياة، معارك صغيرة، نتخاصم ونعود لنتصالح بعد بضعة أيام، نتشاجر لأسباب تافهة ونتصالح بدون أسباب واضحة.. فيما عدا ذلك نمنا معًا، استمتعنا بتلك الدقائق القليلة الممتلئة بالنشوة الحسية.. أنجبنا الأولاد واحدًا بعد الآخر. ليست حياة ممتعة، لكنها ضرورة اجتماعية في النهاية، أعرف أنه لم يحبني ولا كنت حبيبته، فهو مجرد زواج عادي جدًا والسلام كما يقولون، لكنني مع الوقت اعتدت ذلك وتعايشت معه، اعتقدت تمامًا أنّ ذلك لن يتغير مستقبلًا..

لعامر شقيقتان متزوجتان بعيدًا، وشقيق واحد هو أمجد الذي تزوج فيما بعد ابنة شقيقتي، وبالمناسبة كنت سببًا رئيسيًا في هذا الزواج فأنا التي خططت له وتابعت مراحله أولًا بأول، ومن خلال الضغط على منى، والكلام بشكل مستمر مع شقيقتي، كانت منى مرتبطة بعلاقة ما ورأيتها غير مناسبة، صاحبه الوحيد هو مصطفي، جارنا في البيت، يسكن الدور الذي يلينا، يخرج معه لمشاهدة مباريات كرة القدم، أو يجلسان هنا، أو في شقة مصطفى إذا كانت هناك مباراة خارجية، بعد أن اشترك مصطفى في القنوات التي تقوم بالبث الحصري للمباريات.

مصطفى جارنا يعمل في شركة بترول، يمتلك سيارة، ولدية ولد وبنت، محمد عشر سنوات ومها سبع سنوات.. لم أعرف عنه الكثير في البداية، لكنَّ الأمر مع الوقت تغير بعد ذلك كثيرًا.

اعتراف صغير

"أريد أن أخبرك أمرًا يا عامر".

ونظر متجهًا إليه بحواسه، متطلعًا إلى ما سيقوله له صديقه مصطفى كما يزعم، وظنًا من أنَّهُ سيخبره بأمر يتعلق بما حدث.. فتح عينيه وانتظر "لقد كنت أحسدك بشدة".

ضيق عامر عينيه ومط شفتيه دهشة وقال:

"على ماذا تحسدني مصطفى!"

"على فقيدتك جميلة، لقد كانت امرأة متميزة فعلًا، أنا لم أجد لها مثيلًا فيمَن عرفت من النساء".

ومرت الجملة عليه ولم ينتبه لها جيّدًا، لكنَّهُ هز رأسه عدة مرات وربما أطربته عبارة مصطفى؛ لأنَّهُ أثنى على حسن اختياره لزوجته، أطلق صفيرًا ثُمَّ قال:

"أنت تحسدني! معك امرأة جميلة جدًا يا مصطفى، ووظيفة ممتازة".

لكنَ مصطفى زفر بشدة، وطرقع أصابعه، وقال في لهجة تنم عن تعاسة واضحة "أتعرف يا عامر معنى أن يأتِ الشتاء وأنت نائم في فراش بارد، المسألة ليست جمال، المسألة روح، انظر مثلًا إلى جميلة، كانت امرأة ناضجة بمعنى الكلمة، أظنك كنت رجلًا محظوظًا وسعيدًا جدًا يا عامر".

وأغلق عامر الألبوم..

حاول أن يستجمع قواه الخائرة، وذاكرته المبعثرة على قائمة الانتظار ليعثر على شيء يقربه من تلك الحقيقة، لكنَّهُ لم يجد شيئًا يذكر، لكنَّهُ فهم الآن أنّ منى هي زوجة أخيه أمجد، وأنَّ تجاوبًا وبشكلٍ ما بينَ جميلة ومصطفى في طريقه للنمو.

طيور يونيو السوداء

في نهاية اليوم الثاني بعد الحادث، وفي الثامنة والنصف مساءً استدعاه المحقق إلى مكتبه، كان قد أمهله بعض الوقت حتي يستفيق شخص ما ويرغب المحقق أن يراه عامر.. "منى لقد كانت بيني وبينها أمور" قال المحقق هذهِ أخر جملة سمعتها منهُ قبل أن يفقد وعيه، ذرف عامر دموعًا بلا استئذان، ووجد نفسه يجثو على ركبتيه، والمحقق يقول "هناك أمور أريد أن أخبرك بها سيد عامر"، وانتبه لكلام المحقق الذي أبدت تفاصيل وجهه في تلك اللحظة، أنَّهُ سيقول أمورًا لم يعرفها عامر من قبل.

"في الحقيقة هناك أمور لا بد أن أخبرك بها، الأمر الأول أنّ القاتل طعن زوجتك في بطنها، قبل أن يطلق عليها الرصاص بمسدس كاتم للصوت، الأمر الثاني يبدو أنّ القاتل أوقع الخنجر الذي طعن بهِ زوجتك داخل غرفة النوم، ولم يستطع العثور عليه، وعندما اكتشف صوت البنات في الصالة، خرج إليهن وأطلق عليهن النار.. والأمر الثالث يتعلق بالسيدة جميلة، السيدة كانت حاملًا في شهرها الرابع على الأرجح". وأبدى عامر عند سماعه الخبر دهشة شديدة، فتح عينيه على كامل سعتهما، وفغر فاه، وحدق في وجه المحقق، كأنَّهُ خمن بعقله الباطن أمورًا قد حدثت، حديث الليلة الأخيرة مع المرأة

عندما أخبرته أنَّهُ لم يجتمع بها مُنذُ عدة أشهر تتجاوز السبعة، وأنها في الحقيقة لم تخبره بذلك الحمل؛ لكنَّهُ الآن يعرف من المحقق..

مَن يا تُرى؟

لا يتذكر عامر أنّ أبن خالتها، كان يأتي لزيارتها مرتين أو ثلاثة كل شهر، صحيح لم يكن بمفرده وكان يحضر في وجود عامر، لكن مَن يدري، ثُمَّ هناك آخرون ومنهم مصطفى... وخبر الحمل عادي جدًا بالنسبة لعامر الجديد، بعد ساعة كاملة سلمه المحقق الهواتف الخلوية، قال هناك أمران عليك اختيار أحدهما.. أن تكمل حياتك وتحاول النسيان وطبعًا بعد القبض على الفاعل، أو تحاول البحث لتجد أجوبة عن كل ما حدث، لكنَّهُ سأل عامر قبل أن ينصرف، منى التي تحدث عنها الشاب، مَن هي؟

نظر للمحق دون رد، فقال المحقق "مع السلامة سيد عامر".

عاد إلى الشقة في الرابعة فجرًا، وقد استهلك الليلة في الشوارع باحثًا عن ملاذ من ثقل ما حدث.. الشقة تائهًا متعبًا، زحف على رأسه حتى جلس على المقعد الخشبي تحت الساعة الخشبية، ما جدوى الوقت! الأمس، الغد، الآن، هل ثمة فارق؟

هل هناك معنى لكل ذلك؟

تكات عقارب ساعة غرفة البنات، سكون الوقت، الصور القليلة التي تملأ ذاكرته، من أين يبدأ وإلى ماذا سينتهي؟

ما الجدوى من الحياة!

ما الجدوى من كل شيء!

وأطلت الكلمات من الجدران..

نريدك أن تفعل من أجلنا، انتقم لنا، أنت تعرفنا، ورأه يأتي من ناحية الغرفة، وفي يده المسدس الذي أطلق منه الرصاصات القاتلة، لم أفعل كنت مجبرًا، هل تعتقد أنني الفاعل؟

لا أنا لم أفعل، أنا مجرد ضحية عامر، ربما هي التي فعلت كل ذلك.. كنت أحبها وأمي لم ترد ذلك، أنت لم تكن تعرف، كنت أريد أن أخبرك ولكنني لم أفعل، ولقد فرقت بيننا ولن أسامحها، ماذا أفعل؟

وفي الظلام جثا كامل على ركبتيه، ورفع المسدس في وجهه، وقال "عليك أن تفعلها". كان كامل وصوته غارقين في الظلام، الذي يلف الشقة من كل اتجاهاتها.

صحا عامر فزعًا على عواء الكلاب الضالة، ونظر إلى جواره. كان ممددًا على أرضية الصالة تحت الساعة الخشبية، والغرفة ساكنة كمقابر الصيف، من أين يبدأ؟

لا بد أن تمتلأ ذاكرته بكل ما كان، فتش في كل مكان، الصور والملابس، والجدران والكتب.. كان عليه أن يبدأ من هناك، مرّة أخرى وثالثة ورابعة، من غرف البنات.

هام على وجهه في الشوارع المحيطة ببيته، حتى قادته قدماه إلى سوق الخضار.. الأصوات تملأ المكان بالمجادلات مع الباعة، في أسعار الخضراوات والفاكهة والأسماك، يقسم الباعة بكل الإيمان مع الحلف بالطلاق من الزوجة، أنهم يخسرون بسبب الركود الذي أطاح بمكاسبهم في فترات سابقة، والنساء يتحدثن عن الغلاء الذي لم يعرفنه من قبل، وأنَّ بيوتهن تدار بالورقة والقلم حتى فشلت الآلات الحاسبة في ضبط الأمور.

أصغى بسمعه للهمهمات هنا وهناك، المعيشة نار، الغلاء يكوي الجميع والحكومة ودن من طين وودن من عجين.. اللعنة على الدولار.. البيوت لم تعد تستطيع المقاومة.. ما من شيء يوقف زحف الغلاء كأنَّهُ جيش يهاجم مستعمرات النمل أينما وجدت! لا شيء يوقف زحف الجشع، والغلاء الذي يسيطر على الجميع.. المخدرات تباع علانية في الحارات، ونواصي الشوارع ومفارق الطرق.. حتى السيارات لم تنجو من رائحة التبغ الممزوج بالحشيش والأفيون..

هذا هو الكسب السريع الذي ينخرط فيه شباب صغار، ثم تلقي الشرطة القبض عيهم وتزجهم في السجون، لتضيع أوهامهم العبثية في الثراء، وتأكل جدران السجون أجسامهم قبل أحلامهم.

وقف على ناصية فطارت إلى أذنيه شكوى شخص يقول في يأس أنَ ضابط المباحث ألقى القبض على ابن شقيقه، وقدمه للنيابة بتهمة الاتجار في الحشيش، ثُمَّ اتضح أنّ الضابط يريده مرشدًا لحسابه وإلَّا

فالمرة القادمة سيلفق له تهمه ستبقيه في السجن عشر سنوات كاملة أو عليه مغادرة المنطقة كلها.

البلطجة تسيطر على كل شيء..

المفسدون يتزايدون يومًا بعد يوم.

ولا جديد في الأفق.

ولا أمل في التغيير.

ولا أمل في الغد القريب.

المعارك التي يخوضها الناس في كل مكان من أجل البقاء أحياء حتى أخر اليوم.. كل ما رأه على الشاشة عندما طلبت منه جميلة أن ينتقل الى قنوات أخرى حقيقة واضحة غير التي يراها ويسمعها.. ما سوى ذلك وهم وسراب.. أكاذيب كبرى ..

وفجأة توقف في منتصف السوق ورفع عينيه إلى السماء، ما هذهِ الغمامة التي تكبر كلما مر الوقت، كأنَّهُ طائر ضخم يحلق على ارتفاع شاهق، ثُمَّ فجأة يلقي بحمولة ما بين مخالبه، وفجأة سقطت فخلفت وراءها الدمار والقتلى والجرحى، شهد بعيني رأسه ملامح السوق وقد صارت انقاضًا.. أشلاءً مبعثرة وأعضاء ممزقة.. ورؤوس مقطوعة.. سيقان وأذرع ملقاة في كل مكان.. كتل لحم على الأرض.. لطخت الدماء الخضراوات والفواكه التي تبعثرت في كل مكان.. أين مَن كانوا يحلفون قبلَ قليل؟

أين النساء والأطفال الممسكين بأيدي أمهاتهم!

هل ذلك ما ذكرته جميلة..

هل هذا ما عنته بقولها نحن أيضًا نخوض حروبًا متعددة طوال اليوم..

هل كانت محقة؟

ربما كان لديها العذر..

ما معنى الخيانة إذًا؟

ما معني السقوط؟

ما معنى أن تبيع الجميع مقابل نفسك؟

الكرامة.. الشرف.. هذه كلمات لا معنى لها في أوقات الأزمات الكبرى، تلك التي تعصف بالجميع، ترى هل هي أزمات فعلًا أم صنعها أولئك الجشعون للسطو على كل شيء؟

مَن يغلب يحكم..

أليست هذه نظرية الحكم المطبقة في كل مكان؟

سمع ورأى عندما استقل مترو الأنفاق، وعندما نزل إلى ساحة التحرير للوصول إلى المحقق، رأى الشحاذين في الشوارع، وكأنَّهُ لم يكن هناك من قبل، رأى العجائز والشابات الصغيرات، والأطفال يتحدثون بطريقة استعطاف مهينة، وكأنَّ الرب لم يعد موجودًا! تقذف البنت ببطاقات صغيرة في حجور الركاب، مكتوب فيها طفلي يحتاج لعملية جراحية عاجلة، وأخرى تنادي بصوت استرحام مقزز أنها لا

تستطيع تزويج بناتها اليتامى.. وثالثة تستجدي من أجل إطعام أطفالها الخبز.. مالك الشقة طردني إلى الشارع بعد انكسار الإيجار لأربعة أشهر كاملة.. عجزت عن السداد.. فواتير الكهرباء والغاز والماء.. يا مسلمين.. يا محبي النبي.. يا موحدين.. والناس كأنهم موتى! الكلمات والدموع ما عادت تفلح في جذب الناس، الكذب لا ينطلي علينا.. همس رجل في الطرقة، وهو يقترب من باب الخروج في المحطة القادمة، ثُمَّ تجلى في الأفق سرب طائرات وهي تحلق بأغصان الزيتون هنا وهناك، لكنَّهُ يعجز عن الرؤية في زحام المنازل، والشوارع المدمرة وقطع اللحم المتناثرة في كل مكان، وصراخ الأطفال وهي تهرول في كل اتجاه هربًا من قصف طائرات f-16.

"إننا نخوض حربًا وجودية".

يهتف رئيس الوزراء في الجهة الأخرى ليكتسب مزيدًا من الشرعية، لزيادة القدرة على القصف وإحراز المزيد من القتلى.. وهناك على الطرف الآخر أعلنوا مرارًا أننا في جانب حلفائنا ولن نتخلى عنهم، وسنستمر في تزويدهم بالسلاح.

إننا نخوض حربًا هناك من أجل البقاء..

نحن ندافع عن العالم الحر ضد الإرهاب والمتطرفين والقتلة.. وهناك أيضًا يخوضون حربًا لمنع الإبادة والتهجير من وطنهم..

ما الفرق بين هنا وهناك!

أمريكا هي رأس الفساد وداعمة الإرهاب.

أين سمع تلك الكلمات العصبية الغاضبة؟

هناك على المقهى الذي جلس عليهِ قبل أن يذهب في تلك الليلة الكارثية إلى الفندق.. تذكر الآن صوت المحطة الفضائية، والناس يتحدثون في السياسة وهذا ممنوع، وصاح آخرون من جوف المقهى "الصين ستكون أسوأ من أمريكا عندما تكون على رأس العالم.. كلهم سيئون.. نحن الضعفاء.. الفقراء دائمًا يدفعون الثمن في الحرب والسلام.. ما الفرق إذًا بين الحرب والسلام؟

نحن دائمًا مَن يدفع الثمن.. اللعنة على هذا العالم!

وهتف عجوز بائس يسير في قلب الشارع: للَّه يا أهل الخير، ونباح كلب يجري وخلفه مجموعة كبيرة من الكلاب.. ثم نغمة بائسة صادرة من رجل يجلس على جانب المقهى "عيشة والسلام، عيشة أخرتها الموت..

ما الفرق أن تموت غنيًا أو فقيرًا؟

ما الفرق أن تموت جائعًا أو ممتلئ البطن؟

هذا ميت وهذا ميت، تلك حكمة بالغة.

كيف يكون الموت حلمًا وأملا للأحياء؟!

ومن بعيد وعبر عينيه الماديتين رأى عامر طيور البلشون البيضاء تعبر مع شهر فبراير، متجاوزة حدود وفضاءات مارس وإبريل

ومايو، ليتحول لونها الأبيض مع العبور إلى البرتقالي والأحمر، ثُمَّ تتبعها موجات أخرى لطيور ضخمة سوداء لتحتل الفضاء كله.. وفاضت حرارة الجوّ، صمت السوق كله وغرق رغمًا عنه في الصمت، ثم تبدت له احتفالات عارمة.. راقصون وراقصات وأعلام ملونه وأغان وطنية، ثُمَّ فجأة... فكر عامر ثُمَّ تمتم "يجوز، كل شيءٍ جائز.

ريهام جودت

عندما سأل ريهام عن منى اندهشت وقالت "معقول، أنت نسيت كده بسرعة، مالك؟

وقال لها مبررًا:

"ذاكرتي ليست بخير، ربما تأثير الزمن".

ضحكت ريهام بغنج، وقالت وهي تنظر في عينه الرماديتين:

"مين ده، أنت الشباب كله يا راجل".

"لا حقيقي، فكريني من فضلك". قال في جدية، ثُمَّ تبادلا الكلمات.

"أنت بتتكلم بجد؟".

"جدًا".

"طيب، منى دي أنت اللي شغلتها هنا في الإدارة، ولما سألتك عنها قلت إنها بنت أخت مراتك".

"بس".

"لا، كمان هي حاليًا مرات أخوك، أنت عزمتني على فرحها وهي كمان عزمتني، وعلى فكرة...".

عند هذهِ اللحظة انتظر عامر الجديد، المفاجأة التي ستحدثها ريهام عندما تخبره بما ينتظره عن منى.

"على فكرة هي مش مبسوطة بجوازها من أخوك".

"ليه؟!"

"معرفش، لكن مخبيش عليك أنا حاسة إنها كانت بتحب حد تاني".

"انتي بتخمني طبعًا، يعني مش متأكدة".

"الحقيقة عند منى نفسها".

"مين حضر فرحها؟".

"أنت وبناتك ومراتك وأنا طبعًا، وأكيد ناسها وأهلها وصحابها".

"بس".

"مفيش حد معين تفتكريه".

"ياه، أنت فعلا ناسي كل حاجة، مالك يا عامر؟"

وكان عليه أن يخبرها بما حدث في ذلك اليوم.. الخميس أخر أيام الأسبوع من شهر فبراير.

"عايز تقول انك.....".

"هذا ما يبدو وبوضوح شديد".

"هل هذا طبيعي؟".

"لا أعرف".

"هل ذهبت إلى طبيب؟".

"دعكِ من ذلك الآن".

وفتح هاتف جميلة فرأت ريهام الصور، صور الفرح وصور أخرى، وعند صورة معينة قالت له "دي مراتك ودول بناتك".

وعند صورة أخرى قالت "ودا الشاب اللي كان بييجي علشان منى".

"ده". أشار عامر بطرف سبابته إلى صاحب الصورة.

"أيوه، أنا فاكراه كويس". ردت ريهام بتأكيد.

"ده، انتي متأكدة ريهام؟". متمنيًا أن تغير رأيها بعد إعادة النظر.

"أيوه، مالك مندهش كده ليه، أنت تعرفه؟".

"دا كامل عامر".

"ابنك!".

"أيوه".

سرحت ريهام بخيالها ثُمَّ قالت:

"أنت....".

"لست متأكدًا، لكن لازم أعرف".

"محتاج أساعدك؟ خليك انهارده هنا... الليل بطوله لو تحب، أنت وحشتني يا عامر".

"بلاش اليومين دول ريهام، خلّيها بعدين ممكن.. لكن محتاج، أتاكد منك، هل كان بيننا شيء؟"

"كان... مرة واحدة".

ثُمَّ بعد لحظات فجرت أمامه مسألة ربما وجد لها أصل، وهو يفتش في أوراق جميلة "ألم تجد شيئًا أثناء بحثك؟".

"مثل ماذا؟".

"ورقة معينة".

عند ذلك تذكر ما كانت تعنيه جميلة، عندما تحدثت معهُ بعد منتصف ليلة الجمعة.

مصطفى

ربما هي المرة الأولى التي يجلس فيها أمام قاضي التحقيق، وهو يشعر أنه محترم في نظر المحقق، وليس ذلك فقط لكنَّهُ أيضًا يثق في قدراته وأفكاره، وكل ما يعتقده في الحياة.. على الإنسان أن يأخذ منها ما يريد، وبالطريقة التي يحقق بها ذلك أيًا كانت، فليس ذلك مهمًا في سبيل أن يحقق ما يجعله متمتعًا وراضيًا.

"أخبرني مصطفى بيه، كيف عرفت بوجود قاتل داخل بيت عامر".

"سعادة المحقق.. لقد سمعت أصواتًا قادمة من أسفل، توجست خوفًا فهرعت مباشرة ونزلت إلى أسفل فوجدت الباب مفتوحًا".

"اتصلت بعامر في الثانية والنصف، أي بعد تسعين دقيقة". قال المحقق.

"الحقيقة أنني لم أنظر في الساعة وقتها، لكن كان عليَّ أن أخبره".

مصطفى متحدثًا بثقة.

"الطبيب الشرعي حدد وقت الحادثة، بأنها تمت بين الثانية عشرة وخمسة وثلاثون دقيقة والواحدة ليلًا، أي تقريبًا خلال خمسة وعشرون دقيقة، لنقل قبلها بخمس دقائق وبعدها بخمس أخرى، فلماذا تأخرت في الاتصال بعامر؟" "في الحقيقة لقد كنت في حالة شديدة البؤس والغضب، كنت منفعلًا جدًا، لقد وقفت أمامهم في حالة ذهول كاملة، حتى أنني شعرت بالعجز فجلست على الأرض وأنا في حالة صمت، جلست فقط أتأمل ما حدث، ربما ستقول عني أنني أهملت

الأمر، لكنني دخنت عشر سجائر حتى شعرت بالتوازن، وحتى واتتني الجرأة لأتصل بعامر وأخبره بهذا الأمر السيء، ربما ذلك ما جعلني أتأخر، الحزن والألم.. ونظر إلى وجه المحقق ثُمَّ واصل حديثه.. المحقق يريد أن يقول شيئًا لكنَّهُ متردد".

"لا شيء على الإطلاق". رد المحقق دون كثير اهتمام بما قاله مصطفى.

"هل...؟"

"لا، لا، أتحدث معك بصوتٍ مرتفع ليس إلَّا، لا بد أنّ القاتل بعدما ارتكب جريمته انتظر لمدة كافية، وبعدما تأكد من موت الجميع خرج بهدوء".

"وكامل.. أين هو الآن؟"

مصطفى سائلًا عن مصير كامل.

"ربما عندما خرج القاتل من الباب، وجد كامل في وجهه فباغته بضربة قوية أفقدته الوعي، ثُمَّ أكمل القاتل بعد ذلك، وضع بصماته على المسدس، وأخذه معه وأخفاه".

"لا بد أنَّهُ كان قويًا ليفعل ذلك".

"نعم هو كذلك بالتأكيد يا مصطفى".

"كنت أحقق في جريمة قتل متعلقة بمجهول، كان يستخدم القهوة كوسيلة للقتل، لا أدلة، لا بصمات، لا كسر لباب أو نافذة، شيء مثل السحر، كل ما كان يتركه مع كل جريمة يرتكبها، جزء صغير من صورة رمادية، ولم يتضح لنا الربط بين الجرائم إلَّا مع الجزء الأخير

من الصورة الكاملة، كانت لخمسة أشخاص.. أربعة رجال وامرأة، جريمة ثأر، قصاص عادل هذا ما سعى لأجله القاتل".

"وهل قبضتم على القاتل".

"من العدل أن أقول أنَّهُ كان ذكيًا ودقيقًا بشكلٍ يثير الدهشة والفضول".

"يعني أفلت بجرائمه".

"في الحقيقة هو الذي كشف نفسه بنفسه، لكنني مع ذلك لم أره وجهًا لوجه، لقد كان حريصًا على ألَّا أعرفه، وكان عادلًا من وجهة نظري في كل ما قام به.. أرسل لي كل شيء، أرادني أن أسعى خلفه قبل أن يقوم بجريمته وكأنَّهُ تحدي! وفي كل مرة كان يقول ليس بعد أيها المحقق".

"وأنت ما رأيك فيما فعل؟"

"الحقيقة إذا سعى كل شخص للوصول للعدالة حسب هواه، فستصبح الدنيا فوضى.. ستصبح القوانين كأنها حبر على ورق، سيصبح كل شيء مستباحًا، وهذه هي الغابة بعينها".

"وهل الدنيا سوى ذلك؟"

"رأيٌ جدير بالنظر، لكن ألا تظن أنَّهُ إلى حدٍّ ما متطرف".

"بالعكس أرى أنَّهُ بيعي جدًا".

"غريب أمرك سيد مصطفى، كرجل مثقف وتعمل في وظيفة بارزة في المجتمع، ثُمَّ تكون وجهة نظرك هكذا!"

"لو نظرنا إلى كل ما يحدث، لوجدنا أنها وجهة نظر تلائم تلك التغيرات، كم مر عليك هنا أيها المحقق".

"خمس عشرة عامًا".

"هل تستمتع بذلك؟"

"المتعة كغيرها شيء نسبي.. كالزواج من النساء، البعض يفضلها صغيرة وجميلة، والبعض يريدها حلوة لكن غنية، والبعض يستمتع بكبيرات السن، والبعض يستمتع بجمع المال".

"فلسفة وأمزجة كريم باشا" وحك مصطفى رأسه واندس في المقعد.

"لقب عتيق جدًا".

"لكنَّهُ فخم أيضًا، وكأنَّهُ عاد من التاريخ ونُفخت فيه الحياة من جديد".

التفت المحقق وأطال النظر إلى مصطفى الذي ابتسم وقال:

"كأنك تريد أن تقول شيئًا؟"

"أريد أن أسألك".

هز مصطفى رأسه، وبسط يديه في ثقة، ثُمَّ مد يده بعلبة السجائر للمحقق، وقال:

"تفضل بكل سرور".

"هل شعرت يومًا بالندم على شيءٍ فعلته؟"

سأل المحقق وهو ينظر مباشرة في عيني مصطفى، الذي بدوره رفع عينيه وتطلع إلى عيني المحقق، ثُمَّ قال في ثبات:

"إطلاقًا، ولماذا أفعل ذلك؟ ولم أفعل في حياتي شيئًا خاطئًا أندم عليه".

"غريبة!".

"ما الغريب؟".

"كأنك شخص مثالي".

"لا على الإطلاق، أنا إنسان عقلاني أتعامل مع الواقع بحسابات".

هز المحقق رأسه، ثُمَّ نهض واقفًا فنهض مصطفى أيضًا.

"إذًا فقد انتهى حديثنا مصطفى بيه، أراك لاحقًا في ظروف أفضل".

مدّ مصطفى يده إلى يد المحقق وقال:

"يومك سعيد أيها المحقق.. بالتوفيق".

وقبل أن يخرج من الباب استوقفه المحقق بسؤال:

"هل كان عامر يخبرك بكل شيءٍ في حياته؟"

وأجاب مصطفى مبتسمًا:

"عامر رجل طيب".

وقال المحقق وهو يهز رأسه:

"فعلًا، هو كما قلت سابقًا، ولو كان عامر غير ذلك ما كان يصادق مثلك".

انزعج مصطفى من تلك العبارة، وتلون وجهه، لكنَّهُ تمالك نفسه، ثُمَّ انصرف دونَ أن يعقب على جملة المحقق الأخيرة.

ربيع حزين

عاد مبكرًا على غير عادته القديمة، كانت الساعة على مشارف الحادية عشرة ونصف، قبل موعد انقطاع التيار الكهربي، أخرج المفاتيح من جيبه.. ثلاثة مفاتيح كبيرة ومفتاحين صغيرين، ربما كانت لأدراج مكتب أو شيء من هذا القبيل، ظن عامر ذلك، فتح الباب بعد ثلاث محاولات، دخل عامر وأوصد الباب بالترباس.. وضع المفاتيح على الكومودينو في غرفة نوم كامل، بجوار سرير النوم، ثُمَّ خرج إلى الصالة، نظر في الساعة الخشبية ولم يجد شيئًا فما زالت متوقفة، حك رأسه ونظر في الساعة متأملًا كأنَّهُ يقول لها ما حكايتك أنتِ؟ ثُمَّ غادرها الى المطبخ.. غسل وجهه بالماء البارد والصابون، ترك الماء على شعره منسابًا على جسده، صنع كوبًا من الشاي وحمله إلى غرفة النوم، وضع الكوب بجوار سلسة المفاتيح ثمَّ تناول علبة السجائر وأشعل واحدة "ستقتلك سيجارة ذات يوم" تذكر تلك العبارة التي تتردد في الافلام العربية، وعادة ما يقال ذلك. مد يده إلى كوب الشاي فاندهش ثُمَّ اعتدل، تذكر شيئًا مر برأسه.. سلسلة المفاتيح لا تخصه، إنها تخص شخصًا آخر، وعندما حاول النهوض فاجأته لحظة انقطاع التيار الكهربي، عند ذلك ساد الصمت والهدوء أرجاء المكان، هدأت الأصوات التي تأتي من نوافذ البيوت، صمت جرو الشارع الصغير، سكن كل شيء، ربما فقط تلك اللحظات هي الوقت الأمثل للصوص المنازل كما يقول مصطفى.

وضع رأسه على الوسادة واستسلم للنوم.

"ماذا لو خنتك أنا يا عامر؟

ماذا لو أقمت علاقة مع رجل تعرفه ويعرفك؟

مثلًا، ابن خالتي، ابن عمي، حبيبي السابق و...

هنا يا عامر، في البيت وربما على سريرك، ماذا ستفعل وقتها؟".

استيقظ فزعًا، لم يعرف أنَّهُ حدث فعلًا بينهما وأنها واجهته بالحقيقة التي كان يشكك فيها لبعض الوقت، قال في نفسه لماذا لم تعد بها رغبة لي؟ لماذا تخرج كثيرًا هذهِ الأيام؟ لماذا نقع في المشاكل والجدال لأتفه الأسباب؟ هل أصبحت امرأة سيئة أم أنا أصبحت رجلًا آخر غير ما كنت أعرفه؟ لكنَّهُ شعر في بعض الأوقات أنها لم تعد مهتمة به، وأنها تهتم بمظهرها أكثر وأكثر في أوقات معينة.

نهض من الفراش واتجه الى الحمام، ليسمع صوت زخات الماء وهي تتساقط على جلده، هذه هي المرة الأولى التي يستحم فيها بماء بارد، وفي شهر فبراير لكنَّهُ لم يشعر ببرودة الماء، شعر أنَّهُ ستفاق من التعب والحلم الذي راوده، ورحلة عمر امتدت على مدى أربعة عقود ونصف في الشوارع والمقاهي، ومكاتب العمل، والنوم والحزن والفرح، والبكاء والصراع مع الحياة في مختلف مراحل حياته.

وخرج من جديد ليفتش في كتب وكراسات البنات، كم هي كثيرة طلباتي، كم هي مرهقة رغباتي، معظمها لم يتحقق لكن مجرد المطالبة بها تثقل كاهلك، وأنا بنت السابعة عشرة ورغم سنواتي هذهِ أعي ذلك تمامًا، ربما تندهش من ذلك لكنها الحقيقة، أبي عامر لا ألومك ولا أعاتبك، أفكر فيك فقط وأنت ترفع عينيك إلى ابنتك،

وتسمعني أطلب منك أشياءً أعرف أنك تستثقلها، أرى خجلًا في عينيك وكأنك ستنطق، لقد تعبت يا ابنتي، وربما وقتها كنت تقول في نفسك لعلها تكون معقولة.. في شعورك عندما ينادي من الخارج المحصل بصوته الآمر المخيف: كهربا، غاز، ميه.. عندما يقف مالك العقار في أول الشهر، وليس في جيبك ما تدفعه لأنك لم تحصل بعد على راتبك، كنت أرى وجهك وقتها، وكنت أدخل غرفتي، أنغمس في فراشي وأبكي بطريقة تلقائية، ثُمَّ أقوم وأشطب بالقلم كل ما أردت طلبه منك، أفكر في تصرفك، في قوتك وقدرتك على الفعل، وكنت أنظر لنفسي في المرآة وأقول: ضعي نفسكِ مكانه لمرة من المرات، أقول لنفسي وما عساه يفعل؟

لا يملك عصًا سحرية لحل المشاكل، ولا يملك خاتم سليمان ولا فانوس علاء الدين، والدنيا هكذا يوم ويوم.. عندما أكبر أنا سأحقق كل ما أريد، الواحد تلو الآخر، لن أطلب من زوجي المستقبلي ما ليس بيده، سأقوم بتلبية طلبات أولادي على قدر المستطاع.

أبي عامر، ربما تفهمني عندما أقول لك من الصعب جدًا، أن تشعر بالهزيمة أمام أولادك، عندما تعجز عن تحقيق ما يريدون، إنَّهُ شعور مؤلم عندما تكون كل رغباتك واحتياجاتك، لدى إنسان آخر يعجز عن تحقيقها لك، مَن الملوم هنا؟

أبي عامر، لا تحزن فأنا أعرف ما تمر به من أزمات..

أريد أن أقول لك أنني أحبك، بغض النظر عن كونك لم تحقق لي بعض رغباتي وطلباتي، أردت أن أقول لك ذلك ولكن لساني لم يطاوعني، لم أستطع، كل ما فعلته أنني سجلت ذلك في صفحات كتبي

وكراساتي، التي اشتريتها لي بأموالك وتعبك، كان ذلك ضمن ما عثر عليه في متعلقات سارة.

عندما فتش في الأوراق التي كانت بدرج دولاب غرفة النوم، عثر على الأوراق التي كانت تحتفظ بها جميلة.. شهادات ميلاد الأولاد.. ورقة خاصة بقائمة المنقولات.. عقد الشقة.. وثيقة الزواج.. ونظر بتمعن في وثيقة الزواج فوجدها مؤرخة بتاريخ الخامس والعشرين من مايو لعام ألفين واثنين.. تمتم "يعني زواج دام لأكثر من عقدين".

ثُمَّ عثر على ورقة أخرى ربما تلك التي كانت تسأله عنها ريهام جودت، أطال التحديق في الورقة ثُمَّ تمتم في دهشة بالغة "معقول عامر وريهام جودت، غير معقول، وجميلة لم تخبره.. ربما أخبرته ولذلك تغيرت كل هذا التغيير، مَن هنا جاءت الخيانة.

هل خانتك يا عامر؟

ومع مَن؟

ومَن هو؟".

استلقى على ظهره وترك الأوراق مبعثرة حوله.. وعندما عاد من شروده الطويل أمسك ألبوم صور، وبدأ ينظر فيها صورة بعد أخرى، وجد عددًا من الصور التي تجمعه مع جميلة، كانت تبدو رشيقة وجميلة، وبعضها كانت تبدو ابتسامتها فيها واضحة، وبعض الصور كانت كأنها التقطتها على غير رغبتها، أي مجرد تحصيل حاصل، وعندما فتح الهاتف الخاص بها بحث أيضًا في صورها الخاصة، لم يجد صورة واحدة تخصه، لكن وبدلًا من ذلك وجد بعض العبارات

المتناثرة هنا وهناك على صفحة التواصل الخاصة بها.. معظمها يشير إلى ما تنشره معظم النساء، وكأنها نغمة واحدة محتواها معاناة المرأة مع الرجل الذي لا يفهمها! وأنَ المرأة تنطفئ مع الوقت في ظل رجل لا يقدر ما تقوم به نحوه، وأنَّ الزهور التي لا يُعتنى بها تذبل مع الوقت، الخيانة يا عزيزي تواجه بالخيانة وستعرف يومًا طعم ما فعلت بي.. شعر عامر بانقباض شديد وهاجمه وسواس شيطاني أنَ المرأة ارتكبت تلك الخيانة بالفعل مع شخص ما..

الزواج لمجرد الزواج عبث، المرأة يمكنها التلاعب بالرجل حتى تضعه في مصحة الأمراض العقلية، الحب لا يأت إلا مرة واحدة، والرجل لا يستطيع نسيان المرأة الاولى التي دخلت روحه، يمكنه التعايش مع الواقع لكنَّهُ لا ينسَ، هذه أيضًا من الأشياء التي كان يؤمن بها عامر وقت حبه للمرأة الوحيدة في حياته، لكنَّهُ مع ذلك تزوج جميلة دونَ أن يحبها كما فعلت هي تمامًا.

تأمل الصور التي شاهدها، والعبارات التي قرأها على هاتف جميلة، وبدت له الأمور كما لو أنها حياة غير منطقية.. وكأنَّ كل ما حدث يؤكد أنَ الحياة عبثية في بعض جوانبها أو هكذا تبدو! لكنَّهُ شعر برجفة في كل جسده، وهو يتفحص هاتف كامل طالب الفنون الجميلة، صفحات ممتلئة بالبهجة والمرح، هنالك عبارة مدونة أسفل بروفايل الصفحة تقول: نحن أبناء الأمل إذا كانت الحياة ترحب بنا،.. شعر بالفضول وبرغبة عارمة في معرفة ما كان عليه الشاب.. حمل مجلد معين العديد من ملفات الصور، كل ملف معنون بعنوان خاص يدل على هوية الصور التي يحملها.. عناوين متميزة: فراشات، سكريات،

عناق، زهور وخيول، قهوة ونساء، حيوانات برية، أبنية عتيقة، وملف شخصي خاص بصورته هو مع زملاء الدراسة، حفلات، مناسبات، مصايف.. ثُمَّ راح يدقق في الصور أكثر وأكثر إلى أن وقعت عيناه على صورته مع منى.. تنفس عامر بعمق فصنع الدخان الأزرق المتصاعد من سيجارته هالات لتملأ جو الغرفة.. معقول، هل...؟ ترك الهاتف من يده تلقائيًا.. أغمض عينيه وتمتم "ذلك ما كنت أتصوره، منى زوجة أمجد كيف؟ ولاحت صور الهواتف متداخلة، كأنها تصنع قصة علاقة كاملة بينه وبين منى وبين جميلة، التي كانت تعرف ما يحدث بين كامل ومنى.. أمسك بهاتف المرأة وأعاد البحث في الصور فلم يجد شيئًا يتعلق بمنى، بحث في دولاب الشاب وفي أوراقه وملابسه، كل ما يخصه، ثُمَّ أعاد البحث في الرسائل لكنه لم يعثر على شيء..

كان من الصعب أن يصف شعوره في تلك اللحظة، أن يجد نفسه في بيت لا يعرف عنهُ شيئًا، ذاكرتك لا تجيد التعرف على الأماكن ولا تتصور كيف كان الأشخاص معك؟ وكيف كنت معهم؟ إنه بيتك وليس بيتك، أهلك وليس أهلك! ما هي الحركة الأولى التي يجب أن تكون صحيحة في هذا الوقت، إنَّهُ الشعور الداخلي، الاحساس وإلى أين سيقودك؟ هذه المرأة التي كانت تنام بجانبك، هؤلاء الأولاد، هذا البيت، شعورك نحوهم يتحول من اللامعرفة التامة بهم إلى الأسف لما حدث لهم، ثُمَّ إلى تعاطف شديد نحوهم حتى أصبح اقتناعًا كاملًا بمحاولة البحث عمَن فعل بهم ذلك الفعل الشنيع.

وكان عليه في تلك اللحظات أن يتخذ قرارًا بالبحث عنهم، وإيجادهم ومعاقبتهم.. صار شغله الشاغل البحث عن القاتل الحقيقي ومعاقبته وإن كان بعيدًا عن رجال الأمن والقانون..

العرف فيهذه الحالة يسود.

رجل منى الآخر

ذات مساءً فتح الباب على وجه جاره مصطفى، جلسا صامتين لبضع دقائق.. مازالت الساعة متوقفة.

"خيرًا يا بطل، كيف أنت الآن يا عامر". كانت جملة مصطفى هي طريقته لقطع الصمت، انتبه عامر إلى جملته فقال "سأجلب بطارية جديد.. أحاول فقط أن أتذكر ذلك وأنا بالخارج".

"ما أخبارك الآن؟".

"لست في أفضل حالاتي".

"أريد أن أسألك".

"من فضلك ذكرني بلون سيارة أمجد". قطع عامر عليه الطريق محاولًا السيطرة على مجريات الحديث، لمح عامر بعض الدهشة على وجه مصطفى، الذي قال في هدوء وثقة:

"السيارة التي تسأل عنها بيضاء". أجاب مصطفى وهو ينظر في وجه عامر، ثُمَّ استدار بجسده وسأله:

"هل...".

"ليس هو". قاطعهُ عامر قبل أن يكمل بلهجة حاسمة:

"مَن تعتقد، ولماذا؟". سأل مصطفى ليعرف فيما يفكر.

"آخر اسم تردد على لسان الشاب".

"هل لها علاقة؟".

"مَن يا مصطفى، ولماذا هي وليس هو؟".

"إنه مجرد ظن يا عامر".

"لا أعرف بعد، لكنني سأحاول معرفة الحقيقة كاملة".

"هل لديك خطة لذلك؟".

وانقطع حبل الكلام لبضع دقائق أخرى، حاول خلالها استجماع شتات فكره، تردد بينه وبين نفسه، هل يخبره بما حدث لهُ أم يجعل الأمر في طي الكتمان، حتى ينتهي من تلك الجريمة التي حدثت هنا وإن أخبره هل سيصدقه؟ ذلك أمر فعلًا ليس سهل التصديق.

"مصطفى هل أخبرك شيئًا؟".

التفت إليهِ مصطفى وكأنه ينتظر تلك الجملة، وكأنَّهُ يقول كلي آذان صاغية!

"على أن تعدني".

"بماذا؟"

"بتفهم الأمر دون دهشة، أو سخرية أو استنكار، في الحقيقة، لست متأكدًا أنك ستتفهم ما أقوله وهل تصدقه أم أنَ الأمر سيكون محط...".

"ذلك يتوقف على ما ستخبرني به".

"هل تؤمن بالتحولات المفاجئة.. الانقلابات؟"

"لم لا إن كانت هناك أسباب منطقية لذلك".

"أنا لست عامر".

تحول وجه مصطفى المترقب إلى ابتسامة غريبة، سرعان ما تحولت إلى ضحكات، ثُمَّ إلى كلمات ساخرة، ولم يفاجئه ذلك بل اعتبره طبيعيًا ومقبولًا.

"أخوه التوأم مثلًا". قال مصطفى ساخرًا.

"الأمر أعقد من ذلك مصطفى". أجاب عامر بلهجة حازمة.

وبدا على مصطفى الاهتمام بما سيقوله عامر، فراح يصغي لصوت عامر الذي شرح له كل ما حدث.. في بداية الأمر لم يصدق وقد اعتقد أنَ عامر ربما يبالغ فيما يقول، خطر على بال مصطفى أنَ عامر ربما أراد أن يستدرجه ليعرف منهُ المزيد عن الفترة السابقة، وظل ينظر إليهِ بعين الشك، لكنَّ عامر أكد لهُ بصورة لا شك فيها أنه يقول الحقيقة، وأنَّ كل ما سبق تلك الليلة لم يعد له وجود بذاكرته، ولم يعد يعرف شيئًا مما كان.

"هل ذلك معقول فعلًا! أعني من الناحية الطبية".

"لا أعرف، لكنني كما قلت لك لم أعد أتذكر شيئًا، لذلك أنا في حاجة لتخبرني بكل ما حدث، لكن الآن أنا في حاجة للذهاب إلى المحقق لمعرفة الجديد".

"التحقيقات مستمرة ونحن في البداية عامر، والوقت الآن متأخر".

"على أي حال سأعتبر ذلك محاولة".

في اليوم التالي التقى مصطفى للمرة الثانية، لكن هذهِ المرة خارج البيت، جلسا على مقهى، ظلا صامتين لعدة دقائق ثُمَّ سألهُ عامر عن شقة الطابق الأرضي فقال مصطفى:

"أنت لا تتذكر ياعامر ما حدث هنا".

"ماذا حدث؟".

"السيدة العجوز التي كانت تقيم هنا مُنذُ عامين، وجدوها مقتولة بعدة طعنات".

"كيف؟!".

"اقتحم الشقة شبان مخمورون، طعنوها عدة طعنات، استولوا على أموالها وفروا هاربين، حدث ذلك وقت صلاة الفجر".

"هل قبضت الشرطة عليهم؟".

"لا".

"هل كانوا حريصين لهذه الدرجة؟".

"لنقل أنهم خططوا بشكل جيد، ظلت الشرطة تبحث عنهم لعامل كامل، لكن لم يعثروا عليهم، وبالطبع لم يسكن بعدها أحد، وضع صاحب البيت قفلًا على الباب، وسلمني المفتاح لأخبره عندما يسأل أحدهم عن السكن فيها، وبالطبع لم يأت أحد أبدًا".

"مباشرة أنا مين؟".

لمح عامر على وجه مصطفى ابتسامة كبيرة مملوءة بالدهشة.. ابتسامة غريبة كأنَّهُ لا يصدق ورد مصطفى بقوله "أنت عامر طبعًا".

لكنَّ عامر قال بوجه جاد أنَّهُ لا يعرفه جيدًا.. نظر مصطفى مبهوتًا هذهِ المرة وقال "أخبرتني ذلك في الأمس، ربما ذلك هو السبب وتابع بنفس الجدية "أنت لا تصدق طبعًا أنني صديقك فعلًا". وراح يذكر لهُ ما حدث معه، وظهر لعامر أنَ مصطفى صدَق كل ما قاله له، لكن بعدها عاد للصمت وكأنَّهُ يستجمع شتات نفسه، لكن عامر ومصطفى ظهرا كغريبين يلتقيان للمرة الأولى وعليهما أن يتعارفا، بدأ مصطفى يحكي له معظم ما رأه في الصور، وما قرأه عن جميلة، وكيف كان كامل صديقه رغم فارق السن بينهما، وكم كان أولاده يحبونه وينتظرونه بفارغ الصبر، ماهرًا في لعبة الشطرنج، مشجعًا بحماس كبير النادي الاهلي، ناديه المفضل ومتابعًا مبارياته باهتمام كبير.

"كنا نلعب معًا كما تعرف".

ثُمَّ توقف كأنَّهُ استدرك ما قاله له منذ قليل، مد عامر يده إلى علبة سجائره وتناول واحدة، فنظر مصطفى قائلًا:

"أنت لم تدخن مُنذُ وقتٍ طويل".

"منذُ سنوات ربما، لم أشعر بمذاق السيجارة".

لكنَّهُ مع كل نفس كان يدفع معه للخارج همًا ثقيلًا.

"لا أظن أنَّهُ فعلها".

"تعني...".

"هناك أمر غريب داخل ذلك".

"النيابة".

"إنهم يسيرون خلف الأدلة وقد عثروا عليها، لكنَّ ذلك ليس كل شيء، سأخبرك بما وجدت".

وكما قال مصطفى تمامًا، قال المحقق أنَ الأمر منوط بالأدلة وهناك دليل بصمات المسدس، لكنَّ الأمر لم ينته بعد، انتهى، لا بد من العثور على كامل، وأداة الجريمة الثانية هناك سكين مفقود، كما قال مؤكدًا.

ظهرت منى بالنسبة لعامر وكأنها مفتاح الحل فيما حدث، هي العقدة التي ينبغي تفكيكها لمعرفة كل ما حدث.. مَن القاتل، ولماذا، وكيف تم ذلك؟ وكانت لدى مصطفى خطة صغيرة كما اتفق مع عامر، منذ اللحظة الأول كان مصطفى حاضرًا في كل كبيرة وصغيرة، يرافقه في معظم الأماكن، يناقش ويتحدث ويخطط، يبدأ الأمر بمراقبة منى من لحظة خروجها من البيت، حتى عودتها من جديد إلى نفس النقطة، وعلى مدار عدة أيام، مَن ستقابل؟ وهل أمجد يعرف ذلك أم يجهله؟ هل كانت سيارتها هي التي تقف على رأس الشارع في تلك الليلة أم سيارة أخرى لا تتعلق بها؟

ولخمسة أيام كاملة قام عامر بمراقبة منى، كأنه كان يحاصرها دون أن تعرف، لكنَّهُ لم يجد جديدًا في سلوكها وقد أحبطه ذلك، من البيت للعمل ومن العمل للبيت، مع استثناءات طفيفة وزيارة واحدة لوالديها، غداء بمطعم للمشويات، جلست مرتين في مقهى بعيدًا عن البيت، زيارة واحدة لصديقة عمل.. ومرة واحدة زارت فيها حديقة الحيوان بصحبة أختها الصغرى.

كانت دائمًا تتحرك بسيارة صغيرة بيضاء، أخبرهُ مصطفي أنَّهُ لمح ليلة الحادث سيارة بيضاء تقف على رأس الشارع، ولم يجد مناسبة

قوية للربط بين السيارتين، عادي جدًا أن تتشابه السيارات، ولم يضع ذلك في حسبانه، ولم يكن دليلًا يمكن التعويل عليه عند إثبات صلتها بالأمر، وربما لم تكن سيارتها من الأصل، ربما هي سيارة زوجها أمجد، لم يسأل مصطفى عن ذلك، راقب البيت لمدة يوم كامل ليعرف أين تذهب؟ ولماذا؟ ومع مَن تتقابل؟ كان ذلك مهمًا لمعرفة الشخص الذي تحدث عنه مصطفى، ربما كان على علاقة مع منى، وأين ذهب أمجد؟ لكن خلال هذا اليوم الكامل لم يظهر أمجد، فقرر أن تمتد المراقبة لأيام أخرى، خطر بباله أنّ أمجد لم يكن بالبيت، ربما كان في عمل خارجي، ربما سافر إلى مكانٍ ما وكان تفسيره لتصرفات منى أنها ربما كانت لئيمة وحويطة، لقد أرادت أن تبعد عنها الشبهة تمامًا، رغم أنَّ القضية تتقدم بشكل كبير فقد وجدت الأدلة وأداة الجريمة، لكنّها ربما أرادت أن تثبت له هو بالذات أنها ليست الفاعل، ولا علاقة لها بما حدث، وأنها بعيدة كل البعد عن ذلك، وربما كانت تعرف طبيعته ووجد نفسه يميل إلى المثل الشائع "اللي على رأسه بطحة بيحسس عليه".

زارته منى ثلاثة مرات بعد الحادث، وغيرها مرة مع زوجها أمجد بعد الحادث مباشرة، أصرت على دخول غرفة نوم خالتها، هاتفته ثلاث مرات من باب الاطمئنان على أحواله، لأنَّهُ زوج خالتها لكنَّ ذلك لم يكن بمقدوره محو الشك داخله، خاصة وقد رأى الصور على الهاتف، وكتابات خالتها على الفون الخاص بها، وكأنها اعترافات يومية وفضفضات نسائية وقت أن تكون بمفردها، لكنَّ المهم ما قاله الشاب في آخر مرة قبل أن يفارق الحياة، لقد نطق اسمها وكأنَّهُ يشير إلى أنها الجاني الحقيقي! ومن الممكن ألَّا يكون الأمر كذلك، وأنَّ

الشاب كان يعني أمورًا أخرى غير التي يفكر فيها، لكنَّ الخمسة أيام التي قضاها في تتبع منى، جعلت حماسه يفتر وقدرته على المتابعة تتضاءل، لم يعثر على أي شيء يربطها بالجريمة التي حدثت في بيته، لكن كما يقال، الأوقات الأخيرة حافلة بالمفاجأت، في اليوم السادس مساءً رأى منى تخرج من البيت، قال في نفسه أنّ ذلك أمر عادي، كانت الساعة وقت خروجها تشير للثامنة، رصدها بدقة ميلًا بعد ميل حتى وصلت إلى مقهى بطابقين في مدينة نصر.. لم يكن المكان على العادة القديمة، كان المقهى يغص في الطابق السفلي بالرجال والنساء... المقاهي لم تعد مقصورة فقط على الرجال ولا الشيشة أيضًا، دخلت منى وصعدت إلى الطابق الثاني.. همَّ بالدخول لكنّهُ تراجع، وقف بعيدًا عن المقهي، كان أمامه خيارين، أولهما الذهاب مباشرة إلى حيث توجد منى، وهناك سيجدها مع الرجل الذي تحدث عنهُ مصطفى ليلة الحادث، لكن في ذلك مخاطرة أيضًا فمن السهل جدًا أن تنكر الأمر كله، وربما كانت امرأة وليس رجلًا، وهنا ستشك منى في تصرفاته وسوف يزيد حرصها فتنقلب الأمور إلى تعقيدات لن يتم حلها أبدًا.. والخيار الثاني أن ينتظر في الخارج حتى تخرج منى، وبالتأكيد سيخرج مَن كان معها خلفها مباشرة، ويمكنه بعد ذلك مراقبته هو الآخر.. وهنا فكر في مصطفى وأنه من الضروري أن يكون معه.. بحث في الأسماء المدونة على هاتفه فوجد اسم أمجد ضغط الزر وجاءه صوته مباشرة...

"نعم عامر".

"أهلًا أمجد، هل أنت بالبيت؟"

"أنا في الإسكندرية، عندي شغل هناك، سأعود خلال ثلاثة أو أربعة أيام".

"هل...".

"لا لا، عندما تعود بالسلامة سنتحدث".

إذًا لم يكن أمجد بالبيت طيلة هذهِ الأيام، ربما كانت تلك السيارة لأمجد بالفعل، وربما سافر بها، وربما اشترى لها سيارة بنفس لون سيارته، من المهم جدًا مراقبة منى حتى يعود أمجد من السفر.

في اليوم السادس تتبعها حتى البيت، جلس على الدراجة من الساعة الخامسة حتى أصابه الملل، وفجأة وفي التاسعة رآها تنظر من نافذة البلكونة المطلة على الشارع. كانت نظراتها تتراوح بين الاتجاهين يمنة ويسرى وكأنها تنتظر زائرًا ما يدخل البيت في ذلك التوقيت ثُمَّ رآها تغادر إلى الداخل، ثم وبعد دقيقتين عادت للنظر من جديد إلى الشارع، وراحت تنظر في ساعة يدها.. كانت تبدو كشخص قلق، في التاسعة والنصف رأى رجلًا يعرف طريقه إلى البيت بشكلٍ جيد، كانت نظراتها تتابع الرجل حتى دخل البيت، فغادرت مكانها إلى الداخل، عند ذلك عرف أنه الشخص المطلوب.. كان ذلك الرجل هو نفس الرجل الذي غادر المقهى بعد منى مباشرة، فلم يعد لديه شك أنه الرجل الذي يبحث عنه، تأكد أنهما على علاقة، لكن مدى هذهِ العلاقة لم يظهر بعد، إلى أيّ مدى تورطت منى مع هذا الرجل؟ ومَن يكون بالضبط؟ ماذا كان عليه أن يفعل في تلك اللحظة؟ هل ينتظر في مكانه، هل يذهب لمواجهتهما معًا؟ ماذا سيفعلان داخل الشقة في هذا الوقت؟ هل من الممكن أن يبقى معها طول الليل؟ هل تخون أمجد مع هذا

الرجل؟ هل نامت معه قبل تلك الليلة؟ والآن هو في شقتها وربما ستنام معه مرة أخرى، اشتعلت النيران في جسده وصار كمجنون لا يع تمامًا أين الحقيقة وأين الوهم.

هذا داء العائلة كلها..

ترك الدراجة وذهب باتجاه البيت، صعد درجات السلم، كان مضطربًا وقلقًا ومملوءًا بالرغبة في القتل، لكنّهُ كان عازمًا على الذهاب إلى هناك، ومعرفة الحقيقة تلك الليلة، ستراه من عدسة الباب ولن تفتح، لكنّهُ سيصر على الضغط حتى تفتح له الباب، لن تعجزها الحيلة في التهرب منه.. ستضع الرجل داخل دولاب الملابس أو تحت السرير أو المطبخ، ستختلق ألف حجة لصرف نظره عن وجود الرجل في بيت أمجد، في هذا الوقت من الليل، لن تسمح له بالتفتيش في البيت، ستهاجمه كنمرة لمجرد شكه فيها. ستحوله لمجنون رسمي اقتحم بيتها في غياب زوجها، وربما تتهمه بجريمة اعتداء بشعة، ستقول عنه مجنون.

"خيرًا يا أستاذ عامر".

"خيرًا.. مجرد أنني كنت بالقرب من البيت، فقلت أجلس مع أمجد قليلًا".

"ليسَ هنا".

"أينَ هو؟".

"مسافر".

كانت منى بملابس نوم بدت فيها مثيرة، شعرها متهدل.. رائحتها عطرة، كان ما يزال واقفًا على الباب، وبعد صمت لدقيقة كاملة ثُمَّ سمع صوتًا يأتي من الداخل.

"هل معكِ أحد؟"

"السباك".

"في هذا الوقت!".

"ذلك ما حدث".

ومشى على الفور ناحية الصوت باتجاه الحمام، كان رجلًا ضخمًا ومنظرة يوحي الشراسة، نظر في اتجاه الحمام ولم يكن هناك ما يدل على أن هناك إصلاحات يجريها الرجل، لم تكن هناك حقيبة أو عدة سباكة يعمل بها الرجل، ولا ما يدل على أنه سباك جاء للعمل في ذلك الوقت، نظر في عيون الرجل، بدا له أنه فهم شكه فيه فتلجلج الرجل وشعر أنه مرتبك.

"تمام يا هانم".

"هل أصلحته؟"

كان ذلك سؤال مني له، وكان عليه أن يسأله بدوره عن عدة الشغل، فقال مرتبكًا:

"جئت استكشف العطل فقط".

ولا حظ أنّ منى أيضًا تبدل حالها من الثقة إلى القلق الممزوج بالخوف والرعب:

"امشي يا أسطى نتكلم في وقت تاني".

حاول الرجل أن يمر إلى الخارج في هدوء، بعد أن أصبح شكله قلقًا وخوفًا، دفعه بشكل لا إرادي نحو الحائط، حذَّر عامر في رأسه أنه لو تعامل معه بمنطق القوة، فسيدهسه في طريقه بمنتهى الأريحية. وفي لحظة خاطفة، رفع قدمه وضربه في أسوأ مكان يشعر فيه الشخص بالألم، سقط الرجل على الأرض ككومة لحم يتلوى من الألم، لكنّهُ حاول النهوض سريعًا، وعند ذلك ضم عامر قبضته وأحسن توجيهها إلى مقدمة رأسه، فخر ثانية إلى الأرض، وصاحت منى في جنون وعصبية بالغة "تتهجم على ضيفي في بيتي، سأخبر أمجد بكل شيء". كان الرجل في طريقه للإفلات من يده، جرى بسرعة ناحية الباب فسقط هاتفه من جيبه الخلفي، حاول أن يعود لأخذه لكنّهُ وجده في طريقه فآثر الهرب، حاولت منى أن تقلل من تأثير الموقف فقالت "هل تخبرني ماذا فعلت الآن يا عامر بيه؟". وراحت تهاجمه بعنف "أنت مجنون، سأخرج الآن وأفضحك وسأخبر أمجد بكل شيء، سأتصل الآن بالشرطة".

كل ذلك وعامر في مكانه هادئًا متماسكًا لا يرد عليها، حتى توقفت تمامًا عن الكلام، عند ذلك قال في هدوء "كيف تمت الجريمة يا منى؟ هل كنت هناك في تلك الليلة؟ أنا الآن أعرف كل شيء". عند ذلك سقطت منى على الأرض واندفعت في البكاء.. لقد تخيل كل ذلك بالتفصيل وهو في طريقه مع مصطفى إلى شقة أمجد، وما يمكن أن يحدث بينه وبينها في الداخل.

بين السطور

جلس أسفل الساعة الخشبية العتيقة، وجلس مصطفى في مواجهته.. رفع رأسه إلى أعلى وقال بصوتٍ مسموع "الساعة متوقفة". تذكر الحوار الذي دار يوم الخميس بينه وبين جميلة والبنات، كان الحجر بجيبه ولكنه لم يتذكر ذلك.. مجرد أن يضعه داخل الساعة فتعمل.. وقال وهو يرمقها بنظرة دافئة "سأستبدله في وقتٍ ما" كان البيت ساكنًا فيما عدا ضجيج يأتي من نافذة بلكون غرفة النوم، تلك التي لم يدخلها منذ ما حدث مع تلك المرأة، التي كانت زوجته.

"ماذا الآن؟".

"علينا أن نعيد ترتيب الأوراق والأصوات والأحداث".

"لكن مَن هي منى؟".

"بنت شقيقة زوجتك المرحومة جميلة، بالمناسبة هي الآن زوجة أخيك أمجد".

هز رأسه وكأنَّهُ يقول لها أنا أعرف ذلك.

كان أمجد ومنى قد زاراه في وقتٍ سابق.

"هل حضرت زفافهما؟".

"حضرت، دعتني زوجتك قبل أن تدعوني أنت.. لكنَّ الغريب أنّ كامل لم يحضر ذلك الزفاف، لذلك لن تجد له صورة واحدة في الزفاف".

"لكن لهُ صور مع منى وهو يبدو سعيدًا جدًا، ومتفاعلًا بشكل كبير".

"ربما أيام الدراسة.. إنه في مثل عمرها تقريبًا، أو ربما أقل منها بعامين".

"هل كانت العلاقة متبادلة؟".

"ذلك ليس معروفًا لي، ربما نعم، ربما لا، فهما أولاد خالة، لكن علينا أن نعرف ذلك".

"هذه تتطلب مواجهة".

"لكن من أين سنبدأ؟".

ظنَّ أنّ مصطفى يريد أن يصل إلى نتيجة مفادها أنّ كامل كان على علاقة بمنى زوجة أخيه أمجد، رغم فارق العمر بينهما.. عامين تقريبًا، وعندما أعلن دهشته من كلامه، قال مصطفى وهو يبتسم "الأمر ليس غريبًا ولا عجيبًا، عادي جدًا أن يتعلق شاب صغير بامرأة أكبر منه، كما يحدث ذلك مع النساء أيضًا، وليست المشكلة كبيرة بحيث نقف عندها".

مصطفى أوحى له بفكرة جديدة من خلال كلامه، الأمر أيضًا يتعلق بأخيه أمجد، ماذا لو عرف أخيه أمجد العلاقة التي تربط كامل بمنى.. ربما سيكون الأمر خطيرًا جدًا وقتها، ربما أراد مصطفى أن يقول له أنَّهُ من الممكن أن يكون لأمجد علاقة بقتل الأسرة، وهذا احتمال وارد، لكن من أين لأمجد أن يعرف تلك العلاقة؟ لا بد أنّ شخصًا ما أبلغه بذلك.. هل مصطفى هو الذي أخبره؟ هل سمع أمجد اتصالًا ما بين منى وكامل؟ هل لاحظ أمجد أمرًا مريبًا بين منى وكامل عند

زيارة كامل لبيته؟ والنقطة الثانية على فرض أنّ أمجد عرف ذلك، فهل يصل الأمر إلى ارتكاب تلك الجريمة البشعة؟

الأمر غير معقول على هذا النحو! لكنَّ مصطفى بنى داخله شكوكًا كثيرة في سلوك منى وتصرفاتها، وأعاد بصورة تلقائية ما تحدث بهِ مع ريهام، عندما سألها عن منى فاندهشت وقالت:

"معقول نسيت كده بسرعة مالك يا عامر؟".

"ذاكرتي ليست بخير ربما تأثير الزمن".

ضحكت وقالت:

"مين ده؟"

"لا.. حقيقي ريهام فكريني من فضلك".

"انت جاد فعلا؟".

"جدًا".

"طيب منى دي أنت شغلتها هنا، ولما سألتك عنها قلت لي إنها بنت أخت مراتك، بس كمان حاليًا زوجة أخوك أمجد، أنت عزمتني على فرحها وهي كمان عزمتني، على فكرة...".

عند هذهِ اللحظة انتظر الجديد عن منى فقالت ريهام:

"على فكرة هي مش مبسوطة بالجواز من أمجد، ليه معرفش وأنا مخبيش عليك حاسة ...".

"حاسة إيه؟"

"إنها كانت بتحب حد تاني.. منى دي بنت روشة".

"قصدك إيه؟".

"يعني تحس كده إنها بوشين".

"مين حضر فرحها؟".

"أنت وبناتك ومراتك.. على فكرة مراتك طول الليلة وهي بتبصلي بطريقة غريبة".

"ليه يعني؟".

"معرفش افتكر أنت يا خويا، أنا معرفش حاجة، وأنا طبعًا كنت هناك، وطبعًا ناسها وأهلها".

"بس!".

فتح هاتف جميلة وأراها الصور.. صور الفرح ومن ضمنها بعض الصور الأخرى، وعند صورة معينة قالت له:

"دي مراتك ودول بناتك، وعند صورة أخرى استوقفته قائلة "ودا الشاب اللي كان بييجي لمنى هنا في الشغل".

"ده.. أنتِ متأكدة؟"

"أيوه، مالك مندهش كده ليه؟ أنت تعرفه؟".

"دا كامل المفروض إنه ابني".

"ابنك!".

"أيوه".

سرحت ريهام بخيالها، ثُمَّ قالت:

"أنت مش متأكد".

"لكن لازم أعرف، محتاج مساعدتك".

"عامر كنت...".

وسكتت ولم تفصح، فطلب منها عامر أن تقول كل ما تريد، دون أن تشعر بانزعاج، أيًا كان الأمر.

"سأقول لك شيئًا ربما يضايقك".

التفت عامر وأشعل سيجارة، وقال لها "لا عليكِ".

منذ ثلاثة أسابيع اتصلت بي جميلة، كان صوتها غاضبًا ومتوترًا.. جاءت هنا إلى البيت، وقبل أن تجلس قالت أنها لم تعد تحتمل، ثم جلست، كانت متوترة جدًا، منفعلة، وسألتني إن كنت أدخن أم لا، ثم قالت بعدها "أشعر أنني منبوذة، كل مَن في البيت لا يحبني، كأنهم يريدون التخلص مني، سي عامر كأنه ليس موجودًا، يتجاهلني.. البنتان أيضًا، سارة تنظر لي بنظرات كلها لوم وتأنيب وحتى اتهام.. لم أعد أعرفها ولا أعرف فيما تفكر، تلك البنت بدأت تضايقني فعلًا وحتى وسلمى الصغرى، لست متأكدة إن كانت تحبني أم تمثل عليّ الحب بدافع ابتزازي؟! وكامل هو الآخر أشعر أنه يتهمني بأنني أخطط لشيء ما، أصبح بعيدًا عني ولم يعد لي سوى أنتِ، ربما لا.. ثُمَّ نهضت فجأة وقالت "أخبري صاحبك أنني أريد الطلاق".

"ريهام.. هل كان بيننا شيء؟".

فاجأها عامر بقوله، لكنَّ ردة فعلها لم تشي بذلك، بل بدت وكأنها توقعت منهُ ذلك فقالت في هدوء "كان بيننا شيء! عليك أن تسأل نفسك عامر وبطريقة أخرى هل سيكون بيننا شيء كما كان؟". استعاد عامر الحوار مع ريهام، وكأنه كوبي بست، وها هو يتذكر الورقة التي وجدها بين أوراق جميلة، فوقع في روعه أنّ ريهام جودت هي زوجة عامر، وأنَّ الخلافات بين ريهام وجميلة لم تكن عابرة، بل كانت عميقة جدًا، وربما حدث فعلًا تهديد بالقتل من كل طرف للآخر.. هل....؟

وهز رأسه مستنكرًا الأمر.

شكوك

استدعاه المحقق على وجه السرعة، عندما دخل عليه في مكتبه رآهُ جالسًا بشكل مريح، وفي يده سيجارة، وأمامه كوب من القهوة.. واضعًا ساقًا على ساق، لكنَّ المحقق نظر إليهِ في إشفاق ودعاه للجلوس، وقدم له سيجارة وهو يقول:

"كيف هي قهوتك سيد عامر؟ وأنت يا سيد مصطفى؟ أرى أنك ترافق عامر باستمرار مصطفى!".

"نحن صديقان سيادة المحقق، وأمر عامر وحياته تهمني".

نظر عامر لمصطفى بامتنان، وهز المحقق رأسه مبتسمًا.

"حالته خطيرة جدًا، التقرير الطبي ذكر أنّ كامل يمر بحالة بدنية شديدة الصعوبه، لقد تم حقنه عدة مرات بمخدر قوي".

قال المحقق، فسأله مصطفى "أين عثرتم عليه وكيف؟".

قال المحقق "هذا عملنا سيد مصطفى ومع ذلك أخبرك، وجدناه ملقى قرب حافة النهر، كنا قد تلقينا بلاغًا من مجهول بوجود جثة على شاطيء النهر، كان به عد طعنات لكنها لم تكن قاتلة.. يبدو أيضًا أنه تعرض للتعذيب لفترة طويلة". ونظر المحقق ليرى أثر كلامه على وجه مصطفى، وهو يقول "مَن المتصل يا ترى؟".

"هل تعتقد جنابك أنها محاولة قتل للتخلص منه، وما السبب؟ ولماذا كان بحوذته المسدس، ما المشكلة التي نواجهها هنا؟ ثم غريبة حكاية تواجده بجانب النهر".

"أعتقد أنّ القاتل ليس كامل، إنه شخص آخر لا نعرفه.. ربما كان صاحب البصمة التي لم نتعرف على صاحبها بعد".

"لا بد أنّ القاتل كان ضخمًا للغاية، ليسحبه كل هذهِ المسافة خارج البيت، وربما كان معه أحد آخر".

"السرقة لم تكن الدافع للقتل".

"ولا أعتقد أن تكون الخلافات البسيطة سببًا للقتل بهذه الطريقة".

"ماذا تعتقد أنت سيد عامر، هل تظنّ أنَّ زوجتك على علاقة بأحد ما؟".

وانتهى اللقاء على دهشة كبيرة بدت على وجه مصطفى.

سيناريوهات

كان هنا، ومرة واحدة اختفى..

الشعور الزائف بالسعادة يجعلنا مرضى، يجعلنا أسرى الحاضر، لم نتمكن أبدًا من التغيير..

أتعلم يا عزيزي، لقد تعودت على الإحساس الوهمي بمرور الوقت وكأنه لا شيء! رغم أنَّهُ سرق عمري..

تزوجت لخمس سنوات لم أشعر خلالها بطعم الزواج.. لم أشعر برجولته مرة.. أنجبت منهُ بنتًا لكنها ماتت بعد عامين نتيجة نزلة برد حادة، ثُمَّ حملت بعدها مباشرة، عمره الآن ثمانية أعوام، لم أشعر بسعادة إلَّا مرة واحدة عامر..

السعادة يا صديقي ليست بالعمر لكنها إحساس وشعور بمن نرافق في الحياة، انظر لحياتك مع جميلة وحياتي مع ذلك الشخص، ألم يكن من الأفضل أن نكون أنا وأنت معًا؟

لكن عامر أدرك وبصورة ما، ماذا كانت جميلة تعني بما قالته له؟ وتلك الورقة التي رآها بين أوراق جميلة، وتخص تلك المرأة..

ما هو السيناريو المتوقع لما حدث ليلة السبت بعد منتصف الليل؟! اكتشف أمجد العلاقة بين كامل ومنى، بل ربما الأكثر من ذلك، أنَّهُ ضبط كامل ومنى في غرفة النوم في شقته، استطاع كامل الهرب من يد أمجد بأعجوبة، وظلت منى في قبضة أمجد، لقد تصرف معها كجزار، عذبها حتى أقرت له بكل شيء، وضع أمجد خطة محكمة

للانتقام من زوجة أخيه عامر، وعندما كان يفعل ذلك شاهدت البنتان ما حدث، بين أمجد وجميلة زوجة عامر فتخلص منهما، ثُمَّ عثر أمجد على كامل وأخفاه في مكان لا يعرفه أحد حتى يتخلص منه لا حقًا..

تلك رواية لم يتم التأكد من صحتها.

أخبر كامل عمه أمجد أنّ منى عللى علاقة برجل آخر، وأنّهُ لا علاقة له بمنى، وما رآهُ لم يكن خيانة، كان يحاول إقناعها بترك الرجل صاحب الورشة، التي تقع قريبًا من منزل عائلة منى.. لكنَّ أمجد لم يتفهم ما قاله كامل، شعر أنَّهُ مهان ومحتقر من زوجته وابن أخيه، فأضمر في نفسه على الانتقام من زوجة أخيه..

تلك أيضًا رواية لم يتم معرفة صحتها؛ لأنَّ الفاعل الرئيسي فيها في حالة اختفاء مؤقت.

اتفق أمجد مع عشيق منى للتخلص من زوجة عامر؛ لأنها السبب في كل ما عاناه أمجد من زواجه من منى، وعليه أن ينتقم منها وسيكون هو أداة التنفيذ، وتعهد أمامه أن يوفر له كل ما يحتاجه لتنفيذ المهمة، كما أخبره أنه سيطلق منى بعد تنفيذ العملية..

هذهِ الرواية ربما تكون ضعيفة لأنَّ أمجد ليس متأكدًا تمامًا من اتهام منى بذلك.

تلك المرأة أيضًا ربما كانت وراء ما حدث، عرفت جميلة ما كان بينها وبين عامر، فذهبت إليها وهددتها بفضحها في مكان عملها، إذا لم تتراجع عن تلك العلاقة، لكنَّ المرأة لم تتقبل التهديد، ولا ترك عامر لها فدبرت خطة للتخلص منها..

لكن هل لدى جميلة دليل واضح على العلاقة المزعومة بين زوجها عامر وتلك المرأة؟

ذلك أيضًا ما لا يعرفه عامر بعد.

ذهب عامر مع المحقق، لرؤية كامل داخل مستشفى تابع لوزارة الصحة، وكان على الباب عسكري لحراسته، كان المحقق يشك أنَّ القاتل قد يعود مرّة أخرى للتخلص من كامل، عندما دخل الغرفة وجد كامل ممددًا على سرير أبيض، وفي حالة إعياءٍ شديدة، فقد كثيرًا من وزنه، كان مختلفًا كليًا عن الشاب الذي رآهُ يوم الخميس وقت الإفطار، وجه شاحب كسول.. أسفل عينيه هالات سوداء.. جسد مرتخي في حالة سيولة.. ولم يتمالك نفسه وأجهشت عيناه في البكاء.. انكب عليه وراح يقبل رأسه ووجهه ويديه، كانت لحظة استثنائية بالنسبة لرجل، لم يعرف بعد ما حقيقة عامر وكامل معًا.. أشار الشاب بطرف إصبعه، كان مراده أن يقترب منه ليخبره بشيءٍ ما، ودنا منه وأصغى بكامل يقظته، لكنَّ الشاب لم يهمس بكلام كثير، لقد كانت كلمة واحدة.. منى حبي، عندما سمع الكلمة ابتعد قليلًا عن كامل ونظر إلى عينيه، كانتا متعبتين وكأنهما تنظران إلى العدم، عينا إنسان في سبيله لمغادرة العالم، مغرورقتان بالدموع وكأنهما تقولان كامل كان عاجزًا يا عامر! لم يستطع شيئًا ولم يعرف مَن الفاعل، ثم أغمضهما.

منى جميلة

في اليوم التالي التقى عامر ريهام، أراد أن يعرف منها الحقيقة كاملة، هل كانت علاقة حقيقية أم مجرد حب مراهق من طرف واحد فقط؟ وقالت له ريهام أنّ شخصًا ما، كان يأتي كثيرًا لمنى لكنها لم تسألها عن شيء، حتى جاء الوقت المناسب ذات مرة وسألتها ريهام عن الشخص الذي يأتي لزيارتها، فقالت لها أنّهُ قريبها من جهة الأم، وأنّهُ تقريبًا تربى معها.. وسألتها ريهام بخبث أنها رأت في تصرفاته ونظرات عينيه ما لا يدل على البراءة وعندما سألتها منى عن تلك النظرات والتصرفات كانت تبدو منى مستاءة من كلامها، لكنَّ ريهام تجاهلت ذلك وقالت لها تلك نظرات عاشق يا منى. اندهشت منى، بل وربما أفرحها ذلك، وقالت لي وهي تبتسم "إنَّهُ أصغر مني ريهام، غير معقول ما تفكرين فيه".

في المرة التالية حدث نقاش حاد بين كامل ومنى، وانصرف كامل غاضبًا، لكنَّ منى بعد ذهابه بدت سعيدة ونشيطة جدًا، كما لو ابتلعت حبة سعادة، تقول ريهام أنها رأت ذلك بعينيها، وعندما سألها عن ذلك، قالت ريهام أنَّ منى ربما لم تكن تعرف ذلك، وربما فرحت لأنَّ ذلك جزء من طبيعة المرأة أن تكون مرغوبة ومحبوبة، وربما يكون الأمر أبعد من ذلك بكثير.. وعندما سألها عن ذلك الكثير رفعت حاجبيها وكتفيها كأنّه ليس لديها ما تقوله، أو أنّ العلاقة قطعت شوطا بعيدًا.. لكنَّهُ لم يكتف بذلك، كان عليه أن يراجع الصور من جديد بشكل جديد.

كان عليه أيضًا أن يتتبع ما كتبته المرأة جميلة، على هاتفها بخصوص علاقتها بمنى وأسرتها، وكيف تزوجت منى من شقيقه أمجد، وما السبب وراء ذلك؟ سأقول لك شيئًا لم تسمعه مني من قبل.. أظنّ أنّ كامل معذور فيما فعله مع منى، إنّهُ شاب مفعم بالحيوية ومنى امرأة جميلة.. سامحني إذا قلت لك إنها امرأة مثيرة فعلًا.

"تظنين أنّ علاقة ما بين كامل ومنى؟".

"وربما جميلة كانت تعرف ذلك، لكنَّ ذلك لم يكن يعجبها".

"وربما كانت هناك أمورًا أعمق من ذلك".

"هل...؟".

"ربما جميلة...".

"وأرادت منى التخلص منها".

"جنون ما نفكر فيه".

"لكنَّهُ منطقي".

واختلطت الأمور بعقل عامر، أصبح مشوشًا بأفكار غريبة وسامة وبدا على وجهه الضيق، وأنّهُ لم يتقبل كلام مصطفى.. نظر مصطفى إلى عامر فوجد وجهه وقد تلون ففهم، أدرك بشكل ما أنَّهُ ربما تصرف بشكل فج، وأنَّ عليه أن يعود أدراجه، ربما شعر ببعض الحرج، عندها سحب سيجارة من علبته وأشعلها، ثم نهض واقفًا وبدأ يتحرك في الغرفة، لكنَّهُ أدرك أنّ الكلام لم ينته بعد، وأنَّ عليه أن يفكر بطريقة أخرى حتى يصل إلى ما يريد.. جلس قبالته من جديد واستجمع قواه

ونظر إليهِ قائلًا "بفرض أنّ ذلك حدث فعلًا فهل نلوم كامل أم منى؟! الحقيقة أنّ منى كان عليها أن توقفه عند حده؛ لأنها زوجة عمه، كما أنها امرأة ناضجة وأكبر سنًا من كامل والمسؤولية كلها تقع على عاتق منى".

ومرة أخرى لمح مصطفى الشك يجول برأس عامر، فبادر قائلًا "أنا مثلًا... ".

بدا مصطفى في تلك اللحظات مرتبكًا، كما لو كان مقبلًا على تأليف قصة جديدة؛ ليغطي بها على ما قاله عن كامل ومنى، لكنَّه لم يستطع السيطرة على نفسه، كان يعرف ذلك جيدًا وأراد أنْ يُنهي الأمر بالشكل الذي يريده، لقد أراد أن يتكلم كما لو أنّهُ كان يخاطب نفسه أمام مرآة، هكذا رأه عامر في تلك اللحظة.

مصطفى أدرك طبيعة الحالة التي يمر بها عامر، فسرعان ما سينسى كل شيء فيما بعد، عندما تعود له ذاكرته لن يتذكر شيئًا مما قاله، هو الآن كسطح المرأة التي تعرضت لبخار الماء، فسرعان ما يزول عنها فيما بعد، إنها الذاكرة التي لا تستطيع الربط بين ما حدث أمس وما حدث اليوم! "أنا نفسي أميل للنساء الأكبر سنًا مني، حدث ذلك مُنذُ وقت طويل. أول تجربة إحساس مررت بها كانت مبكرة جدًا، كنت وقتها في الصف الثاني الثانوي، انهبلت بمدرسة الكيمياء وهي تقف أمام الفصل ووجهها للسبورة، كانت فتنة يا عامر، لو رأيتها وهي تتحرك، وهي تتكلم، وهي صامتة، لكنني لم أملك الجرأة وقتها لفعل شيء، في الجامعة تحررت كثيرًا، حتى أنني خضت مرحلة زواج مبكر من امرأة تكبرني بعشر سنوات، مهندسة أرملة تعمل مع شقيقي

في مكتبه، تعرفت عليها هناك ثُمَّ تأصلت العلاقة بيننا، حتى صار كُلٌّ منا لا يستغنِ عن الآخر.. هي التي فاتحتني في الزواج بعد أن قضيت في بيتها أسبوعًا كاملًا دون أن يعرف أي فرد من أسرتي، ثم انفصلت عني بعد عامين نتيجة ضغط أخي عليها، ثم أنا أيضًا كنت قد حققت أهدافي منها، خرجت بنتائج لا بأس به.. بعد التخرج عملت في شركة هندسية، تزوجت من امرأة ميسورة تكبرني بخمس سنوات، كان عمري وقتها ثمانية وعشرون عامًا وكان لديها طفلان، قابلت تلك السيدة في مصيف بشرم، وكنت وقتها أخطط للسفر إلى أوربا فأقنعتني بالبقاء، والعمل في مصر وسوف تقوم بمساعدني وجعل مستقبلي كما أريد، ومع الوقت نمت بيننا علاقة انتهت بالزواج.. لم يكن لديّ مانع من فعل ذلك، خاصة أنّ الزواج لن يكلفني مليمًا واحدًا".

ثم توقف مصطفى عن السرد، حدَّق في وجه عامر الذي نظر عامر إليهِ بدهشة عارمة وقال كأن صدمة أصابته:

"ياه.. أهكذا كنت!".

لكنَّ مصطفى لم يتوقف عند هذا الحد، فقد قال أن زوجته الحالية تكبره بخمس سنوات ". وقال عامر وهو يرفع حاجبيه دهشة "أنت تفضل كبيرات السن". وردّ مصطفى وكأنَهُ يتفاخر "كبيرات السن.. ناضجات، جميلات، فاتنات، إذا نظرت إلى امرأة فوق الأربعين فسوف تدرك الجمال الحقيقي للمرأة يا عامر.. أعشقهن يا رجل".

ثم توقف عن الكلام، فسأله عما جعله يسكن هنا في هذهِ المنطقة وهي منطقة شعبية وليس بها ما يميزها، ونظر مصطفى وقال بثبات "معك

حق في هذا السؤال، لكنَّ الحقيقية أنني أردت التغيير.. هدنة من الأماكن عالية الرفاهية".

"من باب الفضول سألت..أنتَ هنا منذ أربع سنوات فقط؟".

"عامان فقط يا عامر.. وربما حان الوقت للتغيير، زوجتي أيضًا تريد التغيير".

"هل تعرف كل تلك القصص عنك؟".

سأله عامر، ونظر مصطفى مبتسمًا وقال:

"وهل هذا من الحكمة؟".

"أهي القصة الأخيرة في حياتك؟".

"لا.. لقد كانت هناك قصة أخرى، ثُمَّ توقف عن الكلام.".

سألهُ عامر، وهو يغمز بعينه إن كان يعرفها أم لا؟

فقال مصطفى وهو يحجب عينيه بعيدًا عن عامر "عندما يحين الوقت ستعرفها.. لكنني أكدت لك أنّ كامل كان يسير في الطريق الصحيح، والآن أخبرني، إلى أين وصلت؟".

وشرح له عامر ما حدث..

كان مصطفى في كل خطوة يخطوها عامر، فقد كان المحرك لكل الأحدث التي يتواجد فيها؟ وفي وقتٍ ما تيقن مصطفى أنّ تلك المرأة، التي حدث عامر عنها أصبحت متاحة لهُ، أو على الأقل هي مستعدة لمقامرته الجديدة، لكنَّ المشكلة تكمن في أنها امرأة متزوجة، عكس ما كان يفعل سابقًا، وأيضًا هي تسكن في نفس المنزل وأسفل شقته

مباشرة! والخطة هذهِ المرة تحتاج إلى إعداد جيد، وتجهيزات خاصة لمعرفة كيف ينالها، بطريقة لا يترتب عليها مجال للشك لا به ولا بها؟ وأيضًا كان عليه أن يكون حذرًا للغاية فمن الممكن أن يحدث حمل لسببٍ أو آخر، لكن هذه النقطة لم تشغله كثيرًا فهي امرأة متزوجة، ولن يشك فيها أحد وهذا طبيعي جدًا.. لقد استقر تمامًا على خوض التجربة، وهي أيضا مستعدة لفعل ذلك، فما الذي يمنع خوضها؟

السكين المفقود

في عصر يوم دق الباب، وعندما فتح عامر وقعت عيناه على وجه منى، وعليه ابتسامة رغم ما كان بالأمس.. دخلت وأغلق خلفها الباب، جلسا صامتين، كانت منى ما تزال غاضبة مما حدث، وكان عليها أن تكون بمثل ذلك الشعور، حتى يدرك خطأه في حقها.. نظرت منى في أرجاء الشقة كمَن يبحث عن شيء، وكان البيت صامتًا كئيبًا موحشًا، تنهدت منى وهي تنظر إليهِ ثم نهضت وذهبت في اتجاه المطبخ "هعمل شاي تشرب معايا؟" سمع صوت الأكواب وهي تغسلها بالماء، وصوتها وهو يقول "المطبخ مرتب جدًا، كل شيء في مكانه، ترى كم عدد الملاعق والأكواب والسكاكين؟". بعد لحظات، جاءت وهى تقول وقد ظهر على وجهها انزعاج "هناك سكين ناقص". وردد مستفسرًا "ومن أينَ تعرفين أنتِ؟". جلست أمامه وقالت "كنت أسمع من خالتي وهي تتحدث إلى أمي.. كانت أمي تقول لي عنها أنها بخيلة وحريصة، لكن أينَ ذهبت السكين، هل تعرف؟".

"لا بد أنها في مكانٍ ما". أجابها بصيغة طبيعية وكأنه لايعرف.

ونهضت منى مرة ثانية، وذهبت الى المطبخ وأحضرت الشاي.. تناولت رشفة، ثم وضعت الكوب على منضدة صغيرة بجوار الكرسي، وقالت "لن أذكر شيئًا لأمجد مما حدث أمس وسيظل الأمر بيننا، وأنت لا تفكر جديًا فيما تعتقده، أنا لا أخون أمجد، وهل هذا معقول؟ ليس الأمر كذلك طبعا، كيف فكرت أنت بهذا الأمر! أظنك لم

تكن تفكر بهذا الشكل المجنون! لا بد أنّ شخصًا مهووسًا أوحى لك بهذهِ الفكرة الشيطانية".

أشعل عامر سيجارة ونهض من مكانه، وفي رأسه عبارة منى عن السكين المفقود.. دار في الحجرة كأنه أرجوحة تبحث عن زر التوقف، ثُمَّ قال باندفاع "شككت فيكِ، كنت ضمن مَن أشك فيهم بالقتل، ظننت عندما رأيته أنكِ... ".

"هكذا من نفسك، يا ساتر! إلى هذهِ الدرجة أنا في نظرك امرأة سيئة؟ ولماذا؟ كل هذهِ السنوات ولم تعرفني بعد؟".

وفكر فيما قاله مصطفي عنها، وما قالته ريهام عن علاقتها بكامل.

"في تلك الليلة كنت أنا وأمجد في حفل سينما، وعندما انتهى الحفل لم نعد للبيت، جلسنا على مقهى بجانب المسجد الحسيني حتى الثالثة صباحًا، وصلنا البيت في الرابعة صباحًا، الرجل الذي رأيته عندي في تلك الليلة، كان السباك الذي يتعامل معه أمجد".

أخذت منى رشفة أخيرة من الكوب، ونهضت واتجهت نحو الباب وقبل أن تخرج قالت:

"هل من الممكن أن أدخل غرفة خالتي؟".

"لقد فعلتِ ذلك من قبل فما الداعي لهذا الآن؟". مندهشًا من طلبها.

"حسنًا، لكن عليك أن تبحث عن السكين.. إنَّهُ سكين قيم وكانت المرحومة تعتز به".

وسألها عامر:

"هل تعرفين مَن أهداها إياه؟".

"ليست عندي فكرة عن هذا الأمر، أه.. دعني أذكرك من جديد، إذا قابلت أمجد لا تحدثه عما حدث وكن حذرًا".

سكتت منى لحظة كأنها تفكر في أمر ما، ثم قالت "لكن.. إذا لم تكن الشرطة قد عثرت عليه، وفي ظني أنّ ذلك قد حدث بالفعل فأين ذلك السكين؟ أمر مفرط الغرابة".

لكنَّ الغريب أنّ عامر لم يسألها عن علاقتها بكامل، ولا عن علاقتها بجميلة، وبدلًا من ذلك جلس يفكر فيما قالته منى فوجده منطقيًا.. إذا هناك سكين مفقود أين ذهب؟ هل معقول أنّ الشرطة قد عثرت عليه من داخل المطبخ؟ ولماذا هو بالذات؟ وهناك خمسة أخرى، لكن من الغريب هو وإن كانت الأداة التي تم بها الطعن، فكيف وصلت ليد القاتل ولماذا هو بالذات؟

ماذا حدث في تلك الليلة؟

كانت هي في غرفة النوم حيث أرداها، والأولاد في الغرفة، ثُمَّ في الصالة عندما حدثت الضجة، لا بد أنّ القاتل تشاجر معها في غرفة النوم، وعندما علا صوت الشجار أسرع إلى المطبخ، وتناول السكين في عجلة ثُمَّ ذهب إليها وطعنها طعنتين، وعندما خرج الأولاد استخدم المسدس وأرداهم ما عدا كامل، لقد تعامل معه بيده.. تركها غارقة في دمائها.. أو ربما حاول الركض نحو الباب فرآه الأولاد في الصالة، فأخرج المسدس وقتلهم ثُمَّ عاد إليها وأفرغ فيها طلقة واحدة جهة القلب ليتأكد من موتها.

هل كان لصًا؟

هل كان قاتلًا مدفوعًا بأمرٍ ما لا نعرفه.

ليست هناك دلائل تفيد أنَّهُ كان لصًا، ولا يوجد كسر بالباب، لا بد أنّ المفتاح كان بحوزته، لكن من أين حصل على تلك النسخة؟ وإذا لم يكن لصًا فلماذا دخل في هذا الوقت وهم بالبيت؟

شعر عامر مع كثرة التفكير أنّ رأسه سينفجر، وكلما أمعن التفكير كلما ازداد الأمر تعقيدًا في تلك الليلة، وبدت الأمور كشبكة عنكبوت، وكان الس٢ؤال الأخير الذي قالته منى، وذهبت دون أن تسمع إجابة، وما حكاية ريهام معك يا سيد عامر؟ لكنّهُ لم يكن يجهل تمامًا ما كان المحقق كوزمو يخطط له، لقد كان معه منذ البداية وأخبره المحقق ما عليه القيام به..

كان يتحرك وفق ما أراد المحقق كوزمو.

الشك

كيف سيبدأ وأين سينتهي؟ عاد أمجد وكان على عامر أن يقابله، هيأ نفسه ليكون حريصًا وحذرًا، بدرجة لا يفهم منها أمجد شيئًا مما حدث، وفضل عامر أن يلتقي بهِ خارج البيت فسيكون الوضع مريحًا أكثر، استقبله بترحاب كبير، وعزّاه للمرة الثانية، جلسا متقابلين، أحضر الساعي القهوة، كوبين من القهوة المضبوطة.. لم يكن أمجد مدخنًا فقد عرف ذلك، من خلال رفضه للسيجارة التي قدمها له، وأيضًا اندهش أمجد، فقد كان يعرف أنّ عامر أقلع عن التدخين منذ فترة طويلة، وسأله عن سبب العودة لها من جديد، لكنّهُ لم يجد تفسيرًا جيدًا يمكن قوله، وعلى هذا تركا الحديث في هذه النقطة جانبًا.. تأكد أيضًا من خلال ترحيب أمجد الحار، أنّ منى لم تخبره بما حدث بينهما في المرة الأخيرة، بدا أمجد ودودًا إلى أقصى حد، وبعد لحظة صمت سأله عما حدث لكامل، وهل عثرت عليه الشرطة أم مازال مختفيًا، أخبره بما فيه الكفاية لكنّهُ شعر كما لو أنه فعلًا شقيقه "هل جد جديد في القضية؟ هل تأكدتم من الفاعل؟" سأل أمجد، وهز عامر رأسه وقال "من المؤسف أنه لا شيء حتى الآن".

وأحد هذهِ الأسباب تلك الشكوك، التي تحوم حول أمجد ومنى.. كان كلام مصطفى معه، يشير إلى احتمالية أن تكون منى أو أمجد، أو كليهما ضمن قائمة المشتبه فيهم، كان متوجسًا كثيرًا من كلام مصطفى بل إنَّ الفكرة من أساسها غير معقولة، ولا يوجد من الأسباب ما يبرر ذلك، لا بد أن تكون هناك مصلحة للقاتل.

ما مصلحة أمجد ومنى في ذلك؟ وللحظات كان يشك أن يكون كلامه صحيحًا.

"أنت بخير يا عامر؟".

سأله أمجد، فقال باقتضاب وهو يهز رأسه "إلى حدٍ ما".

"أعرف أنّ الأمر غاية في الصعوبة، ومن المستحيل أن يتقبل الإنسان كل ما حدث بسهولة، بل ويتعايش معه، على نحو يجعله يمارس حياته على النمط السابق".

"لكن ذلك ما حدث".

"هل تحتاج شيئًا.. أي شيء فأنا أخوك".

"وماذا أحتاج من الدنيا، كل ما أريده هو معرفة مَن الفاعل الحقيقي لهذا الجرم الشنيع؟". قال بلهجة عازف عن الدنيا.

"هل تشك في أحد ما؟ ربما يكون من المنطقة، من الشارع، من البيت، هل لك عداوة مع أحد؟".

"لا أتذكر أنني عاديت أحدًا".

"هل عثرت الشرطة على أدلة جديدة، وماذا عن بصمات المسدس؟".

وأخبره بما ذكره المحقق عن جميلة، قبل أن يطلق عليها القاتل الرصاص، كانت مطعونة في شقها الأيسر، وفي بطنها.. لم يخبرهُ بطبيعة الحال عن كونها كانت تحمل في بطنها جنينًا، لكنَّ المحقق أخبره أنهم لم يعثروا على أداة الطعن، وأنها لا بد أن تكون في مكانٍ ما من البيت.. تذكر عامر في تلك اللحظة أنّ مصطفى نزل عنده عدة

مرات، وفي كل مرة كان يتعمد صنع الشاي بنفسه لبضع دقائق زائدة، عن حد إعداد الشاي أو القهوة، لكنّهُ لم يفكر لحظة واحدة أنَهُ من الممكن أن يكون هو الفاعل ولماذا يفعل؟ وما مصلحته في ذلك؟ قال له مرة أنَّهُ ربما كان الفاعل عشيقًا لأحد ما، واستنكر الأمر وغضب بشدة واسترضاه مصطفى، واعتذر له حتى هدأ، لكنّهُ عاود الكرة وقال "لقد سمعت أنها كانت ترفض الزواج من أمجد، لأنها تحب شخصًا آخر، لديه ورشة ميكانيكا في نفس شارع أسرة منى الذي تسكن فيه، لكنَّ أسرة منى رفضت تزويجه لأنَّهُ رجل متزوج ولديه أولاد، الرجل أخبرهم أنه سيطلق زوجته، لأن بينهما مشاكل لا يمكن تحملها، وأنه مل من زواجها، وأضاف مصطفى، ربما يكون هذا الرجل مشتركًا بالفعل في الجريمة، وعندما سأله ولماذا يفعل ذلك؟ فقال قال مصطفى ربما كان بتحريض منى طبعًا، وسألته ولماذا تحرض منى على قتل خالتها؟! ونهض مصطفى واقفًا وقال وهو يوليه ظهره "أظنّ أنّ زوجتك المرحومة كانت تكره منى وتكره أن تكون لها علاقة بكامل، ولذلك تخلصت منها.. أنا كنت أعرف ذلك".

"وكيف عرفت؟"

تلجلج مصطفى لكنّهُ استدرك الأمر سريعًا، وقال وهو يبعد عينه في اتجاه آخر "كنت أسمع الأصوات أحيانًا، كان الصوت مرتفعًا جدًا".

"لكن ما دخل كامل هنا؟".

سأله في ارتياب، فقال مصطفى موضحًا أنّ كامل نفسه، أخبره ذات مرة بحبه لمنى، وأكمل مصطفى روايته قائلًا أو مدعيًا، أنّ جميلة كانت سببًا في إشعال الحرائق في بيت شقيقتها.. ادعى الرجل أنّ زوج

شقيقتها كان يحبها، وكان يريد الزواج منها لكنَّ شقيقتها الكبرى أحبطت تلك القصة، وتزوجته بدلًا منها، لذلك انقطعت الصلة بين الشقيقتين فترة طويلة، حتى تناست كل منهما ما حدث لذلك كانت منى تكره خالتها.. لكنَّ عامر كان يسأل نفسه، كيف عرف مصطفى كل تلك الأمور عن بيته، وكأنه كان يعيش معهم في البيت؟

"هل مصطفى هذا صديقك منذ فترة طويلة؟". سأل أمجد مشككًا في أهداف مصطفى.

"أظنّ، ربما منذ أربع أو خمس سنوات على ما أعرف".أجاب بصيغة الشك.

"هل تثق به؟". قلب عامر شفتيه وصمت، لم يكن يعرف إجابة محددة يمكن أن تكون ردًا على سؤاله.

"يمكنك أن تحذر منه". نبهه أمجد بلهجة تحذيرية جادة.

"لماذا؟" تساءل عامر بترقب.

"لأنني بدأت الشك فيهِ بالفعل". قال أمجد بلهجة مؤكدة.

ليلة أخرى نحو العنف

في مساء ليلة وفي الثامنة اتصل مصطفى، أخبره أنه وضع خطة لمعرفة القاتل.. خرجا من البيت وتوجها إلى مقهى قريب من البيت. قال مصطفى بوضوح أنه يتصور وبشكل لا ريب فيه أنّ عشيق منى هو الفاعل، وبدا لعامر انزعاجه الشديد من تكرار اتهامه لمنى بالخيانة، نظر إليهِ مصطفى وفهم ذلك، فأعاد صياغة عبارته من جديد "أعتقد أنّ هذا الرجل هو القاتل، انظر يا عامر وتصور معي الأمر، فهناك دافع قوي لذلك، لقد حرمته جميلة من الزواج من منى وأعطتها لأمجد، الغيرة يا صديقي.. "فتش عن المرأة"، مثل فرنسي مشهور تعرف ذلك طبعًا.. هز عامر رأسه وقال "وكيف سنتأكد من ذلك؟". وأجاب مصطفى في ثقة "سنذهب إلى ورشته لنعرف منه مباشرة، سندخل ونتفاهم معه بذكاء شديد، سنحاوره حتى يسقط في الفخ، سنجرجره في الكلام حتى يعترف بذلك".

"وما فائدة الاعتراف وقد يتراجع عنه أمام المحقق".

ابتسم مصطفى وهو يلوح بالهاتف، هنا يأتي دور هذه الآلة، عندئذ نذهب إلى النيابة ونقدم الدليل وينتهي الأمر، وتستريح أنت من تعبك، وأستريح أنا من عذابي.

"ولماذا تتعذب أنت يا مصطفى؟!". سأله عامر بدهشة.

"كيف لا أتعذب وأنت تعاني مما حدث يا عامر؟". قالها مصطفى بلهجة ممثل مسرح.

"وإن تشاجر معنا، ما العمل ساعتها؟ لقد علمت أنه ضخم البنيان وقوي جدًا". قال في حذر.

"لا تخف اثنان ضد واحد". قال مصطفى ملوحًا بآلة في يده.

أستقلا دراجة كامل البخارية وذهبا.

كان الوقت مبكرًا حسب وجهة نظر مصطفي، فلا بد أن يكون بمفرده داخل الورشة، حتى يتم الأمر في هدوء، جلسا على مقهى حتى خفت الأرجل تمامًا أوكادت تنقطع، ذهبا إليهِ مشيًا.. لمحا من بعيد صبيًا يغادر الورشة، نظرا من بعيد فوجداه جالسًا بالداخل على مقعد، وأمامة مكتب صغير جدًا وشيشة، نظر الرجل نحوهما في دهشة وقال في صوتٍ خشن "انتوا مين وعايزين إيه؟" ثم وقف متأهبًا، حدّث عامر نفسه أنّ الرجل اعتقد أننا لصوص.

"لا تخف أنا زوج خالة منى".

قال موضحًا فهدأ الرجل واطمأن، وأردف بقوله "في هذا الوقت أريد أن أسالك عن علاقتك بمنى".

"وما دخلك أنت؟!". قال الرجل في عصبية واضحة، وتدخل مصطفى قائلًا "عليك أن تجيب على السؤال". فقال الرجل في ضيق "وأنت أيضًا، هذا شأن خاص لا دخل لكما به، عليكما مغادرة المكان وإلَّا...". ومشى مصطفى نحو الرجل وقال "نحن نشك في أنك قاتل السيدة جميلة وابنتيها، وإخفاء كامل".

عند ذلك انفجر الرجل ضاحكًا هازئًا بكلام مصطفى، ثُمَّ قال في غضب "أنا قاتل!". وهم نحوه وأخذ بتلابيب مصطفى، وصرخ في

وجهه "أنت مجنون". وحاول مصطفى دفعه عنهُ لكنه فشل، فنظر ناحية عامر وكأنه يستنجد به "ألم أقل لك أنه القاتل". هجم الرجل على مصطفى وألقاه في ضربة واحدة، وأطاح به بعيدًا وهو يقول في غضب "أنا الذي سيقتلك الآن أيها الكاذب". وصاح مصطفى مستغيثا رغم ضخامة جسده "عامر اضربه على رأسه". لكن عامر وقفت صامتًا، أحسست أنّ الأمور تنقلب رأسًا على عقب، وأنها على وشك أن تخرج عن السيطرة، وقد تُرتكب جريمة قتل في هذهِ الليلة، التي ربما يتكرر فيها ما حدث في بيتي، وبعد قليل ستنقطع الكهرباء ويصبح المكان ظلامًا.. أمسك عامر بالرجل من الخلف وفرق بينهما، أبعده عن مصطفى ووقف حائلًا بينهما، رأى مصطفى وهو يتراجع ثم يضع يده في جيبه، ثُمَّ يخرج مسدسًا كاتم الصوت ويوجهه نحو الرجل، الذي صاح في وجه مصطفى "أنت فعلًا رجل مجنون". وقال مصطفى مدافعًا عن نفسه وخططه "أرأيت أنه القاتل الحقيقي لزوجتك وأولادك.. عليك الآن قتله لتأخذ بثأرك منه عامر". ونادى مصطفى "تعال هنا يا عامر وقف بجانبي". وحدَّث عامر نفسه أنّ مصطفى ربما كان محقًا، وأنّ عليه أن يذهب إلى جواره، تراجع الرجل للخلف وبدا على وجهه الخوف، وقدم مصطفى المسدس له وقال "خذ بثأرك منهُ يا عامر.. هيا اقتله يا رجل، لا تكن جبانًا إلى هذه الدرجة".

نظر الرجل وقد بدا عليه الرعب..

في تلك اللحظة تناول عامر المسدس منه، ووجهه نحو الرجل وسط هتاف مصطفى، وهو يصيح مشجعًا ومحرضًا "أطلق عليه.. أطلق.. أطلق". وحاول عامر أن يضغط الزناد لكنه لم يستطع، أحس مصطفى

بعدم جديته فاقترب منه، ووضع إصبعه على إصبعه وحاول الضغط بقوة على الزناد، لكنَّ عامر سيطر عليه ودفعه بعيدًا، ثم وقف مندهشًا كأنه لم يتوقع نفسه بتلك القوة، ثم وضع المسدس في جيبه.. نظر عامر إلى الرجل الذي سقط على المقعد وكأنه قد أحس بنهايته الوشيكة.. سحب عامر مصطفى من يده وغادرا المكان.

"لماذا لم تقتله؟ إنه القاتل يا عامر، صدقني".

"كل ما قلته ليس دليلًا على ذلك.. ليس هو، كنا سنقتل رجلًا بريئًا".

"صدقني أنت مخطئ يا عامر".

"لماذا أحضرت المسدس يا مصطفى؟ سأله في غضب، وأجاب مصطفى باضطراب "هل كنت تعتقد أننا سنأتي هنا بدون حرص أو احتياط، ماذا لو كان الرجل يمتلك مسدسًا؟ ألم ترى الرجل كم هو ضخم؟".

أخرج عامر المسدس وأعطاه له..

كان يشبه المسدس الذي تمت به جريمة القتل في بيته..

يشبهه تمامًا وكأنه نسخة أخرى منه!

ريهام جودت

"عامر.. سأزورك اليوم، ليس الأمر ضروريًا، لكنني أحتاج إلى أن أجلس معك، ونتحدث لبعض الوقت، لا تفهمني بطريقة خاطئة من فضلك، أنا وحيدة جدًا وأحتاج لصحبتك فقط".

كان ذلك صوت ريهام على رسالة واتس أب بالهاتف، قال في نفسه لو كانت هنا الآن لأشعلت حريقًا في البيت، ولقالت في اتهام واضح وصريح "كان معي حق عندما شككت في العلاقة بينكما.. أنتما مجرد خائن وخائنة".

ربما كانا سيتجادلان حول الأمر، وتستمر العبارات بينه وبينها حتى يخاصمها، أو تخاصمه لعدة أيام، ثُمَّ تذوب الخلافات بينهما بطريقةٍ أو أخرى، ثُمَّ بعد فترة وجيزة تبحث عن العراك ليتكرر نفس المشهد.. هكذا فكر في الأمور التي لم يعد يتذكرها بشكل جيد، وابتسم على مضض..

كيف كان الأمر مع تلك المرأة ريهام؟

هل فعلًا نام معها وقضى معها يومين كما قالت تلك المرة جميلة؟ أم هو مجرد شك وغيرة نساء فارغة؟

ذلك وببساطة شديدة يدل على أنه رجل خائن، وليس هنالك تفسير آخر، وماذا عن ريهام!

هل كانت تحبه فعلًا أم لإشباع رغبتها؟ يعني مجرد نزوة أرادت المرأة أن تتخلص خلالها من الضغوط الجسدية، مسألة هرمونات لا أكثر ولا علاقة للقلب بذلك كله، تمامًا كما يفعل الرجال بعيدًا عن بيوتهم.. تلك الخيانات التي تحدث بمبرر أو دون ذلك..

يا لها من قسوة! ياله من جنون.

وراح يحدث نفسه ويهيم معها..

ها هو يكتشف أنَّهُ لم يكن روتينيًا مملًا، ولا سائرًا في خط مستقيم كما يقولون عن الرجل الهادئ، فقد كانت له نزواته أيضًا، وربما كان يدخن الشيشة ويشرب الخمور، ويراسل الفتيات على وسائل التواصل الاجتماعي. ربما كانت له عشيقات أيضًا وصديقات في العمل غير ريهام بعدد شعر رأسه، ما زال يحتفظ بشعره كاملًا لكنّهُ صار رماديًا، وهو أجمل من ذي قبل.

يا لك من رجل يا عامر!

أهذا أنت يا رجل!

ونهض في تكاسل إلى الحمام، أزال ما علق على جسده من التعب.. شعر باسترخاء.. ها هو قد أحس أنّ جسده خفيفًا كريشة، شعر بالراحة، لكنّهُ... أه...

ها هو البيت أصبح فارغًا تمامًا، فارغًا لك وحدك، وها هو عامر وحيد الآن، في بعض الأوقات كان يشعر براحة، عندما يتركوه بمفرده في البيت، كان يشعر وقتها كما لو أنَّهُ عاد شابًا عزبًا يفعل ما

يريد وقتما يريد، يخلع ملابسه، يجلس عاريًا بقطعة ملابس وحيدة.. قطعة واحدة فقط ويدخن سيجارة، يصنع لنفسه كوبًا من الشاي.

يطلق صوت الأغاني التي كان يحبها ذات يوم، إلى أن يسمع صوت المفتاح وهو يدخل في فتحة القفل، ثم يئز معلنًا عن عودتهم من الخارج، فيراهم وهم يدخلون قائلين ماذا فعلت؟

ها هو يبدأ من جديد، لكنه وحيد دونهم، وها هم يدخلون عليه ليسألوه ماذا ستفعل في غيابنا يا عامر؟!

ونظر في أرجاء البيت كالتائه، وجد نفسه كالعجوز الذي بلغ من الحياة ما يريد حتى زهدها وملّها، وأراد أن يتخلص منها بشكل نهائي وليكن بعدها ما يكون، الحياة عبء كبير، إنّهُ الفراغ الداخلي يا هذا، في عقله وقلبه وروحه التي أصبحت تشعر بوحشة شديدة وكأنَّ العالم كله في ناحية وهو في الناحية الأخرى! ولا علاقة بينهما.. الساعة الخشبية الساكنة، المقعد القديم العتيق، الوحدة والفراغ، الأطباق والملاعق والسكاكين.. ترى أين هو السكين الضائع؟ وفي النهاية.. إنّ العزاء مجرد تبسيط للأشياء المعقدة، التي لا يمكن حلها ببعض الكلمات، لكنَّ العزاء الحقيقي في النسيان! "عامر ننسى بعد وقت ما، فينزاح عنا العبء الذي كنا نحمله فوق ظهورنا.. لا نستطيع أن نتحمل إلى ما لا نهاية، وفي الأول والآخر الحياة تمضي مع مَن نحب ومَن نكره، ربما نعيد اكتشاف أنفسنا مع مَن ذهبوا بعيدًا عنا، وربما نتعرف عليها بصورة أخرى مع مَن سيأتي بعدهم، كنا على صواب أم كنا على خطأ دون أن نعترف بذلك هذا ما كان". قالت ريهام التي جاءت إلى البيت في الخامسة مساءً، كانت ترتدي بنطلون جينز أبيض، تعلوه بلوزة

سوداء بها زهور مزركشة وجاكت خفيف، وكان شعرها متدليًا فوق كتفيها وظهرها، بدا طويلًا عما كان، وحذاء ذو كعب عالي، وفي يدها التي بدت فاتنة حقيبة صغيرة على شكل قلب مفتوح، وجهها خال من الأصباغ تمامًا، لكنّهُ كان جميلًا متوردًا، وعامر كما بدا عليه كأنّهُ يراها للمرة الأولى..

كانت تبدو وحيدة فعلًا.. ملامحها كانت تقول ذلك، رغم ذلك عيناها بديعتان رغم أنهما كانتا مسكونتان بالحزن، لكنه لم يستطع قراءته بوضوح.

وراح عامر يرقبها في تأمل واضح، بينما هي راحت تتهرب منه.. فتحت حقيبتها وأخرجت علبة سجائر وقدمت له واحدة "أعرف أنك عدت للتدخين بعد كل هذهِ السنوات، والآن سأصنع قهوة ونحتسيها معًا ونحن نتحدث".

تركها تدخل المطبخ وجلس كتلميذٍ مطيع، راح يراقبها وهي تتحرك في المطبخ، كانت تبدو نشيطة جدًا، كأنها تبتسم دون أن تظهر ذلك، الآن يرها بعين عامر الجديد، امرأة جميلة كما يليق بها، جسدها متناسق تمامًا كأنَّ رجلًا لم يلمسها بعد.. صدرها بارز، خصرها واضح، ممتلة من أسفله، شعرها حر يبلغ منتصف ظهرها، قسمات وجهها حلوة.

"المطبخ مملكة المرأة، عامر أظنك لم تفعل شيئًا في المطبخ فما زال مرتبًا".

وشعرت ريهام أنه ارتبك، فخمنت أنَّهُ كان يراقبها في صمت فابتسمت، ثُمَّ توقفت عن الكلام، التفت عامر نحوها موجها نظره إلى عينيها مباشرة، محاولًا ألا تفهم مغزى نظراته إليها وكأنَّهُ.. "أه.. لم يتغير شيء عما كان".

وانتظر أن تكمل "أظن أنَهُ كانت هنا سكين مشرشر!" عندئذ انتبه لجملتها فنهض واقفًا، وذهب إليها، وقال في فضول شديد، ودون انتظار أن تكمل "من أينَ عرفت ذلك ريهام؟". وقالت وهي تبتسم "لأنني مَن أهديتها السكين، كان عيد ميلادها منذ بضعة أشهر".

"وكنتِ تعرفين عيد ميلادها؟".

"تقريبًا كنا صديقتين متشاكستين".

"أنتِ وهي صديقتان؟".

"أعرف.. كانت المرأة تشك أنَّ بيننا علاقة ما، لكنها لم تكن متأكدة من ذلك، زارتني في البيت، كانت غاضبة جدًا، حاولت أن أسيطر على سلوكها نحوي، لكنها كانت منفعلة جدًا، ثُمَّ جلست واندفعت في الكلام، قالت لي أعرف أنّ عامر يخونني معكِ ولا تنكري ذلك. كان عليها حتى تستريح أن تتأكد من ذلك، وبشكل قاطع عن تلك العلاقة التي تربطك بصديقة العمل ريهام، هو لا يتذكر أنها صديقته في العمل مُنذُ ثلاثة عشر عامًا، كان هناك عندما جاءت في أول يوم للعمل، كانت جميلة جدًا وملفتة، ومن النظر لها من الوهلة الأولى يستطيع المرء أن يقول دون مبالغة.. واو، شعر طويل مربوط من الخلف، ترتدي جينز وحذاء رياضي، حقيبة ثمينة، والبرفيوم الخاص بها ملأ

المكان، تنفسه وقتها، شعر أنّ المكان كله تغير من إطلالتها الأولى، وقالت ريهام جودت في وضوح وهي تبتسم: "أنا من المهندسين، متزوجة حديثًا، وربما لن يدوم الأمر طويلًا.. خريجة ألسن".

شعر عامر وقتها أنها امرأة قوية وجريئة، لتقول هذا الكلام بصراحة ودون مقدمات.

"هل كانت بيننا علاقة كما ادعت زوجتي أم...؟".

وضحكت ريهام كطفلة، وقالت وهي تضع يدها على يده "حاولت يا صديقي تلك الليلة، أن أقبلك في بيتي عندما جئت، لكنك كنت حزينًا جدًا، وغاضبًا بدرجة كبيرة يا صديقي..

بالكاد وافقت أن تجلس.. قضينا وقتًا طويلًا ونحن نتحدث، حتى شعرت أنك أصبحت بخير وأخيرًا ابتسمت لي.

لقد نمت على الأريكة في الصالة، رفضت أن تنام في حجرة الولد عندما حاولت جرك إليها، كان بها سرير صغير.. ربما خفت مني وقتها، أن أتسلل إليك في الليل، وأندس إلى جوارك، لم تكن لتقاوم ساعتها صدقني؛ فقد كنت مثيرة جدًا، وقتها كنت مستعدة لاستقبالك عامر، كنت أريد أن أعانقك تلك الليلة وكأنك زوجي، اقتربت منك لكنك ببساطة ودون أن تجرحني، قلت لي وأنا أضع رأسي على كتفك..

"ريهام أنا متزوج".

وقلت لك في وضوح:

"وأنا أحبك يا عامر".

وقفنا سويًا لخمس دقائق كاملة ورأسي على كتفك، ثُمَّ امتدت يداك وأحاطتني، ضممتني اليك بسعادة، ثُمَّ رفعت يدك ووضعتها على شعري، وطافت أنامل كفك على وجهي، ثم قلت وأنت تتأمل وجهي: "ريهام، أنتِ امرأة جميلة، لكن عليكِ أن تجعليني أقاوم هذا التمرد الذي ينمو بداخلي نحوكِ، أفهمتِ يا امرأة؟ تصبحين على خير.. الغد يحمل الكثير من المفاجأت".

"يا امرأة.. وكأنني عندما سمعت منك تلك الكلمة، لم أشعر من قبلها أنني امرأة، لكنني لم أتركك تلك الليلة يا عامر".

وضحكت ريهام من جديد، حتى ظن أنها تريد تشكيكه فيما حدث. لكنها قالت أخيرًا "وقتها لم يكن بيننا شيء بالفعل، مجرد أنني كنت معجبة بك عامر، لكنني ومازلت على رغبتي القديمة أريد الزواج منك، ولن أتوقف عن ذلك، وأقسمت لها لكنها أخبرتني أنها سمعتك تتحدث معي عبر الهاتف، بطريقة توحي أنّ بيننا علاقة معقدة.. حاولت لكنها أصرت على ما فهمته، بعد ذلك كان ما كان، كانت جميلة تتصل بي عبر الهاتف لتتأكد من ذلك، زرتها هنا عدة مرات حتى أجعلها تصدق، كانت تقول لي سأطعنك بهذا السكين، إذا علمت أنّ بينكِ وبين عامر شيء، لو علمت أنكِ تخونيني معه، وسألتها هل تحبينه لهذه الدرجة؟ سكتت وقتها كأنها ترددت، ثم قالت "الحياة الزوجية لا تتعلق بالحب، وإلَّا لسقطت معظم البيوت بعد فترة قصيرة في هوة سحيقة، هناك أولاد ريهام، وسيئات عامر ليست بالدرجة التي تجعل الحياة بيننا مستحيلة، هل كنت سيئًا معها عامر؟

ونظر إليها ولم ينطق، وعادت وجلست على المقعد العتيق، وإذا بها تسأل من جديد "أين السكين عامر؟".

"لا أعرف ريهام، ذلك يعد لغزًا يجب حله".

ونظر عامر إلى ريهام، يتأملها من أعلى إلى أسفل، ثُمَّ توقفت عيناه عند بطنها، ونظرت ريهام إليهِ ففهمت مغزى نظرته، فهمَّت أن تسأله لكنَّ جرس الباب أصدر صوته المعهود، فنهض عامر وفتح الباب فإذا به مصطفى، نظرته السريعة إليهما، أوحت بما تخفيه طيات نفسه، وكأنها تقول "أهكذا سريعًا، أنتما أيضًا على علاقة ولم يمضِ على جميلة أسبوع!".

ورأى عامر تلك الابتسامة الصفراء وسمع مصطفى يقول ساخرًا وهو ينصرف "على كل حال لا بد أن تستمر الحياة". وأوصد عامر الباب، نظرت ريهام إلى عامر وهي تضع يدها على كتفه، وقالت "دعك منه ومن نظرته، لكن مَن هذا الرجل يا عامر؟".

"جاري مصطفى".

"شكله مريب، نظراته وجهه حاقدة وخبيثة، هل تعرفه جيدًا؟"

"أظن".

"ماذا عنه؟".

"مهندس بترول متزوج ولديه ولد وبنت".

"لماذا يسكن في هذهِ المنطقة؟".

"يقول من باب التغيير".

"غريب فعلًا".

"منذ بضعة أيام لم أسمع لأولاده حسًا، فسألته عن ذلك فقال، لأنهم عند بيت جدهم لامهم مُنذُ عشرة أيام".

وتبادل عامر وريهام نظرات مع صمت، ثم قالت ريهام:

"عامر.. سأبقى معك بعض الوقت".

"لا، لا، ليس الآن". قلت بلهجة قاطعة.

"حسنًا.. تعال نخرج بعيدًا عن هنا".

نزل معها حتى الطابق الأرضي، كان مترددًا في الخروج، وقفا أمام الدراجة البخارية، أشارت إليها، وهز رأسه ثُمَّ نظرت ريهام إلى باب الشقة، وقالت "لمَن؟".

"لمصطفى".

اقتربت ريهام وأمسكت بالقفل، وقالت "ما كل هذا الحذر؟ لا بد أنّ بها كنز".

ثُمَّ خرجا إلى الشارع.

شقة الطابق الأرضي

شغله التفكير في شقة الدور الأرضي، لماذا يحتاج صاحب البيت إلى قفل برزة مع أنّ الشقة فارغة؟

عندما سأل مصطفى بعدها قال له، أنّهُ هو الذي وضع القفل عليها، فقد استأجرها من صاحب البيت مُنذُ شهرين؛ ليضع فيها الأشياء التي لا يحتاج إليها.

هناك غرفة مظلمة داخل كل واحد منا، يضع فيها كل ما يريده.. غرفة لا يستطيع أحد الدخول إليها، الأسرار التي نخشى أن تفضحنا، لدى مصطفى أسرار، شقة مظلمة، ماذا يضع فيها؟

مقاعد.. ملابس.. أدوات قديمة.. كراكيب! هذا ليس معقولًا، ثُمَّ إنَهُ قال أنَّهُ سيترك هذهِ المنطقة قريبًا، فلماذا استأجر هذهِ الشقة؟

ولماذا لم يتخلص من الأشياء عند أصحاب الروبابكيا؟

هل ينتظر حتى يعرف ذلك عندما يغادر مصطفى البيت؟

هل عليه أن يعرف ما يُخفيهِ فيها؟

إزداد فضوله وشغله كأنها أصبحت هدفًا له، مع سؤال داخلي ولماذا يشغل نفسه بها؟

كان عليه أن يذهب للمحقق في مكتبه، لمعرفة بعض الحقائق عن السكين، والعثور على كامل.

كان المحقق قد أوحى له بالنشر على صفحة التواصل الخاصة بهِ بعض الأشياء لمعرفة القاتل، وسأله "ولماذا على صفحتي؟".

قال المحقق "لأنَّ القاتل سيراقبك، لينظر ماذا ستفعل؟

ثُمَّ إن الناس توقفوا عن شراء الصحف، وصفحتك عليها أقاربك وأصدقاؤك، ومَن يدري ماذا أيضًا وأظن أنّ عليها الكثير".

نشر عامر خبرًا مفاده أنّ كامل تم العثور عليه بجوار النهر مطعونًا بعدة طعنات، وأنّهُ بين الحياة والموت، وقد طلب منه مصطفى زيارته والاطمئنان عليه، لكنه اعتذر له وكان لديه حججًا قوية.

وكانت إحدى الروايات عن السكين المشرشر، وأنه مفقود ولم يعثر عليه أحد رغم تفتيش البيت بدقة من قبل الشرطة، كما وأنّ المسدس خالي البصمات فيما عدا بصمات كامل.

عندما ذهب للمحقق سأله "كيف حال ضيوفك وكيف أنت". وأجاب أنه بخير وطمأنه على كل شيء، ثم نظر له المحقق مبتسمًا وقال "سيسقط القاتل قريبًا، هل اكتشفت جديدًا عامر؟".

وردّ بقوله "لا ليس بعد".

في هذهِ اللحظة قال المحقق "اليوم ستضع على صفحتك ما سأقوله لك". انتبه عامر لكلامه.. "ستكتب من جديد أنّ السكين التي طعنت بها زوجتك ما زالت مفقودة ولحدٍ كبير لا بد أن تكون في مكانٍ ما في البيت، ولا بد أن تكون بصمات القاتل عليها، عليك أن تلمح أنّ السكين في البيت في مكانٍ ما.. هناك أمرٌ آخر سنفعله".

"وما هو؟". سأل عامر في اهتمام.

"سنضع كاميرا صغيرة في بيتك، وبالتحديد داخل الغرفة التي قتلت فيها زوجتك، سيحاول القاتل بطريقة ما دخول الغرفة ليعثر على السكين، لن ينتظر طويلًا، سيحدث ذلك في حدود يومين أو ثلاثة على الأكثر".

"هل تشك في أحد ما حضرة المحقق؟".

ظنَّ عامر أنَّهُ سيتحدث عن منى.. أمجد.. مصطفى.. ريهام.. عن واحد من هؤلاء بعينه.

"تخمين فقط، سنتأكد قريبًا من كل شيء عندما يسقط القاتل".

وأخبره عامر عن قصة المفتاح، الذي وجده في ميدالية بها بضعة مفاتيح أخرى، لكنّهُ لم يعرف حتى تخص مَن؟ ريهام.. منى.. أمجد.. وكل واحد منهم نفى أنها تخصه، ومصطفى تحديدًا أشار إلى ميدالية معلقة في حزام خصره، وقال له أنه لا ينزعها إلَّا عند فتح الباب، أو أبواب أخرى غير ذلك فهي في مكانها، لكن لا بد أن تخص شخصًا ما تركها في بيته.. انتهى كلام مصطفى وعامر زاره كثيرون، ولكنّ أحدًا لم يسأله عنها حتى اليوم!

قال له مصطفى ربما كانت مفاتيح المرحومة، ورد المحقق "عليك أن تتأكد من ذلك عامر". لكنه فعل ما هو أكثر من ذلك للتخلص من الشك، جرب المفاتيح على كل الأبواب الموجودة في البيت، شقة الدور الأرضي وشقة مصطفى، وشقة الجارة المسنة التي تسكن الطابق الأخير ولها أحفاد أشقياء، كما أخبره مصطفى عندما تحدثا

عن ذلك، لكن المفاتيح فشلت جميعًا في فتح أي باب منهم، فيما عدا مفتاح واحد فتح باب شقته! إذًا لمَن بقية المفاتيح..

لسنا كما نبدو في الظاهر، نحن أفاعٍ تسكن تحت الجلد، عيون مظلمة، وقلوب تخفي في داخلها شر كبير، لَن تعرف أبدًا ما يدور في رؤوس الآخرين وإن أقسموا بأغلظ الأيمان، إنهم بالفعل كما يبدون لك ولا شيء آخر، هذا لا يصدق، لا شر خالص ولا خير خالص..

إننا خليط من كل شيء، إننا لحظة ما قبل الشروق الواضح، النور الملتبس بالظلمة.. العكارة التي تبدو عند وضع ملعقة من مسحوق الغسيل في كوب ماء شفاف!

وها هو عامر يبدو غير ما كان عليه، قلقًا حزينًا لا يثق في أحد.. يدور حول نفسه ليكتشف ذاته من جديد.. يقلب في أوراقه القديمة فإذا هو مجرد سطور فارغة، ماذا يكتب فيها الآن؟

وعامر موظف الصحة لم يعد كما كان، صار وحيدًا بعد فقد أسرته في لحظة ما لم يفكر فيها أبدًا، صار يشك في الجميع، ولا يثق بأحد ممن كان يعرفهم، يرى الدنيا وكأنها امرأة قبيحة لا يرغب بها أحد ولا يتعرض لها أحد، وتعرض نفسها على كل أحد! والجميع مشوه بشكل ما في عقله، روحه، قلبه، لا سكينة بعد اليوم.

في اليوم التالي خرج كما اتفق مع المحقق، قضى معظم اليوم في الخارج متنقلًا من مقهى الى آخر، حتى آخر اليوم عندما سمع رنين الهاتف، فإذا بهِ المحقق يستدعيه إلى مكتبه.

أخبرهُ أنهما سيذهبان إلى نسيب مصطفى ليتحققا من أمرٍ هام ودهش لطلبه! فقد رأى أنه لا علاقة بزوجة مصطفى بكل ما حدث، لكنَّ المحقق قال له سنعرف كل شيء عندما نصل إلى هناك، ونلتقي الزوجة..

بدت المرأة على قدر من الجمال، كانت تبدو أكبر قليلًا من مصطفى، مع هذهِ أيضًا لم يتخل مصطفى عن القاعدة، التي وضعها لنفسه عند الزواج من النساء، وكأنَّ عامر يراها للمرة الأولى! لكنها فاجأته بقولها "ازيك يا أستاذ عامر، البقاء لله، أتمنى أن تعثر على كامل قريبًا.. لقد كان شابًا صالحًا، كان أولادي يحبونه جدًا، فقد كانوا يلعبون معه عندما يأتي لزيارتي".

نظر عامر الى المحقق وكأنَّ الجملة الأخيرة التبست عليه، فقال متسائلًا عن مسألة أولادي!".

قالت السيدة لا بد أنك تعرف أنهم ليسوا أولاد مصطفى، إنهم أولادي أنا من زوجي الأول.. كان كامل يأتي البيت ليشاهد المباريات والأفلام الحديثة، كانا يلعبان معًا، وهكذا كان زوجي مصطفى يشرب ويدخن، كامل باستمرار يرفض ومصطفى يصر، أنا هنا منذ شهر تقريبًا لم يسأل عني مصطفى حتى الآن، مصطفى ليس لديه أولاد، إنه في الحقيقة لا يحبهم، لقد حاولت معه لكنه هددني بالطلاق فسكت وسكتنا".

"أنا والمحقق جئنا لنعرف شيئًا". قال في رجاء.

"هل لديكِ نسخة من مفتاح الشقة؟". قال المحقق موجهًا سؤاله للسيدة، التي هزت رأسها ثُمَّ انصرفت للداخل لبضع دقائق، فسأل المحقق "لماذا تريد المفاتيح؟". فقال المحقق دون أن يكشف شيئًا "سترى عندما نذهب إلى هناك". حاول المحقق وهو يقف أمام شقة مصطفى فتح الباب فقال عامر "يبدو أنّ الكالون تغير.. لماذا؟".

قال المحقق "ربما لا يريد مصطفى للزوجة أن ترجع للبيت في وقت غيابه، أو أنه سيفعل شيئًا آخر، كأن يترك المنطقة كلها بعد فترة ما".

وسأله عامر عن الوقت الذي تغير فيه كالون الباب فقال المحقق "ربما بعد ذهاب الزوجة إلى بيت أبيها أو ..." .

"أو ماذا؟".

وسكت المحقق ثُمَّ قال "أو بعد مقتل زوجتك مباشرة".

واندهش عامر ظنًا منه أنه لا علاقة بين هذا وذاك، وسكت المحقق لكنَّ عامر شعر بالغضب، كأنَّهُ تضايق فجأة دون سبب محدد.. أحس بفضول داخله وكأنّ المحقق يشير إلى مصطفى بأنه الفاعل وأنّ له علاقة بزوجته.

"حضرة المحقق...".

"ليس بعد عامر، ستظهر الحقائق قريبًا، علينا أن ننتظر قليلًا.. لكن لا تفعل شيئًا قبل أن أخبرك به، هل تفهمني؟".

"هل تعتقد أنّ القاتل هو الذي أخذ كامل؟".

"بكل تأكيد، فبعد أن وضع بصماته على المسدس، كان عليه أن يخفيه ليظن الجميع أنّ القاتل هو كامل، وهكذا يسيطر على الأمور".

وسأله عامر طالما أنّ بصماته ليست على المسدس، فمن الطبيعي أنَهُ كان يرتدي قفازًا، وبالتالي لن نجد بصماته على السكين، أليس كذلك؟".

وأجاب المحقق، بأنَّ هناك احتمال أنَّهُ طعنها بالسكين قبل أن يخرج مسدسه، وعندما شعر بالأولاد وحركتهم في البيت، ارتدى سريعًا القفاز واستخدم المسدس، ثُمَّ قص عليه المحقق، قصة رجل قتل شقيقته لأنه لمس سلوكها السيء، بالمناسبة الأخ لم يكن بالبيت تلك الليلة، لقد كان عند أحد أصدقائه ليثبت عدم صلته بالجريمة، ثم في وقت ما اتفق فيه مع والده، جاء إلى البيت في وقتٍ متأخر من الليل وأتم مهمته وانصرف عائدًا إلى صديقه، والشرطة اشتبهت في الأب أنَّهُ الفاعل، الأبّ أيضًا وضع منومًا لزوجته وأولاده حتى يتم الأمر في هدوء، ليثبت أيضا أنَّهُ موت طبيعي وليس فيه شبهة قتل، لكنَّ ذلك لم يكن صحيحًا.

"كيف عثروا على القاتل الحقيقي؟".

"لقد عرفوا من خلال خدش صغير في رقبة الشقيق، ومع مطابقته بالأنسجة المتخلفة في أظافر القتيلة، تبين مطابقتها لأنسجته وقد اعترف بفعلته".

ماض وحاضر

مصطفى تزوج ثلاث مرات قبل هذهِ الأخيرة، لم ينجب أبدًا.. لديه حساب بنكي، يقامر، يسكر، لكنَّهُ يحافظ على مكانته من المقربين منهُ بشكل ممتاز، وهو في الحقيقة يكره الأطفال، ومنبوذ من أسرته مُنذُ خمس سنوات بسبب مشاكل مع أسرته.

التقى عامر والمحقق والده، أخبره الرجل الذي ناهز السبعين من عمره لكنَّهُ بصحة جيدة، أنَّ مصطفى كان عنيفًا منذ صغره، كان يعتدي على أصدقائه في المدرسة. سأحكي لك قصة صغيرة، كان لنا برج حمام في البيت، كان مصطفى يتسلل خفية إلى أعلى، يمسك الزغاليل الصغيرة ثُمَّ يخلع رؤوسها، ثُمَّ يعود دونَ أن يكتشفهُ أحد أو يشك فيه أحد منا، حتى اكتشفنا ذلك في إحدى المرات، فقد وجدنا زغب الزغاليل على ملابسه، وعندما كبر كان يحتال على النساء كبيرات السن، وخاصة المنفصلات والثريات، اللاتي يحتجن للعاطفة وأظنك تفهم قصدي حضرة المحقق، حدث ذلك أمامي، شكت لي كثيرًا من النساء المترددات على المحل هنا، وكما ترى هو محل تجاري ضخم، وتأتيه سيدات من كافة أنحاء المناطق الراقيه.. مصطفى ابني يجيد التلاعب بالنساء ببراعة يحسد عليها، وأحيانًا يفعل ذلك للمتعة فقط.. وكأنَّ شعلة نار لفحت رأسه، خرج من خلالها عامر، وهو يعود ذات مساء إلى بيته، فيجد بناته في غرفة نومهن يشاهدن التلفاز والولد ممسك بالهاتف، ويسأل عامر عن الأم فتقول إحدى البنات "إنها في الخارج منذ ساعتين وربما تتأخر لأنَّ لديها مشوار

مهم". ويجلس عامر لا يفكر بشيء، ولا يجول برأسه أمر ما، فقط ينتظر وصول الزوجة، ربما ذهبت لشراء بعض الأشياء التي تخصها، أو ذهبت لزيارة قريبة أو صديقة لها، بعد فترة طويلة أحاول التماس الأعذار، وبعد فترة انتظار طويل مملوءة بالشك والغضب، تعود الزوجة إلى البيت، وقد غيرت تسريحة شعرها ولونه، وارتدت ملابس مختلفة، حذاء بكعب مرتفع، برفان مثير للغاية، لم يرها من قبل بهذا الشكل، ربما لم تكن المرة الوحيدة التي تفعل فيها ذلك، ربما لم يرها بسبب عمله سائقًا فترة الليل، ويسأل "ماذا حدث للدنيا؟". فتقول المرأة في نشوة "لا شيء مجرد تغيير جميل يشعرني بالحياة، بعيدًا عن جو الكآبة الدائم الذي نعيش فيه.. أليس ذلك أفضل؟".

وينتهي الكلام!

في جرائم القتل، يحاول القاتل دراسة جميع الاحتمالات التي يمكن من خلالها الشك فيه ليتفادها، يدرس المكان ويحدد الزمان والأشخاص المتواجدين في مكان التنفيذ، ثُمَّ يصنع الظروف الملائمة للتنفيذ، يحاول وضع آخرين محتملين ليتحملوا جريمته بدلًا منه.. أدلة اعتراف أو خطأ ما ارتكبه القاتل،وغفل عنهُ تمامًا أو فقد الإدراك وهو يفعله، وجريمة كالتي حدثت في بيتك من هذا النوع.. زمان مناسب، وقت ملائم وهو وقت انقطاع التيار الكهربي، الأولاد في غرف النوم، وكامل خارج البيت ويعود متأخرًا، أراد القاتل التخلص من فرد واحد فإذا بهِ يقتل ثلاثة، ويستولي على الرابع الذي لم يكن في الحسبان، لكنَّهُ في الوقت ذاته حضر في وقت مثالي ليحمله جريمة ما قام

بارتكابها، وجد كامل يصعد السلم، ولا بد أنَّ كامل كان يستخدم ضوء الهاتف..

انتظر القاتل لحظة دخوله من الباب فضربه على رأسه، ليسقط كامل على الارض مغشيًا عليه، فيقوم القاتل بإكمال مخططه الناقص فيضع بصمات كامل على المسدس.. لم يكتفِ القاتل بذلك بل سحبه إلى الخارج وأخفاهُ، حتى تظن الشرطة أنّ القاتل هرب بعد ارتكاب جريمته، فتبحث عنهُ وبذلك تبتعد الشبهة عن القاتل الحقيقي.. المشكلة هنا كانت في الدافع والسكين الذي فقده القاتل بالداخل، ولم يستطع العثور عليه، لقد حاول لكنّهُ أخفق، ومع مرور الوقت نسي أمرها وتركها، لكن ليس لوقتٍ طويل، سيفكر ويتشكك بمرور الوقت، هل كان يرتدي القفاز وقتها أم لا؟ ربما لمسها بدون قفاز وأنّ عليها بصماته، لذلك سيضع خطة أخرى، للبحث عنها والعثور عليها، خاصة أنَّهُ عرف أنّ الشرطة لم تعثر عليها، لكنه أيضًا سيكون حذرًا للغاية..

سيضع خططًا جانبية وهو يمضي قريبًا من مسرح الجريمة، إلى تكملة خطته لمسح آثار الجريمة تمامًا، وبذلك يفلت بكل سهولة ويسر..

سيحاول العودة إلى نفس المكان الذي فقدها فيه، سيتأكد أنّ البيت آمن وأنه لا أحد يشك فيه، هناك ريهام، أمجد، منى، والرجل الذي أراد أن يتزوج منها، وحرمته القتيلة منها، فأشعلت داخله نار الحقد عليها.. وربما أحد من الخارج على صلة بزوجتك وله ثأر عندها، لا نعرف ذلك حتى الآن..

نظرية القتل أنّ القاتل يحوم حول جريمته وغالبًا ما تتحقق في الواقع، ولكل جريمة قاتل وأدوات، ويمكن إفلات القاتل في حالة أن تكون الأدلة صفرًا، تعاملت مع عشرات القضايا وأفهم جيدًا سلوك المجرمين وحيلهم جميعًا، ولا بد أنّ القاتل يتمتع بذكاء ومكر.

"ما هدف القاتل هنا سيد عامر، السرقة.. البنات مثلًا؟".

"لا، لا أظن ذلك".

"كامل في الخارج، فماذا تعتقد أن يكون الهدف من القتل".

اللعنة على الدنيا، على كل تجربة نخوضها ونفشل فيها، على فقر يحاصرنا فنغوص في الوحل، على مال يتسيد الواجهة فيسحق كل هامة بها كرامة، على بشر لا تعنيهم الألفة، لكنهم يريدون بغض النظر عن أي شيء كل شيء، كأنّ شرايينه قد امتلات بالدماء فغرق فيها، واستقرت في أحشائه رصاصة قاتلة، وفجأة روعته أفكار شيطانية، واستولى على بدنه قهر قاتل ضرب قلبه بشدة، واختلطت برأسه أوهام قاتلة... ظهر واختفى كشريط سينما أمام عينيه، كل شيء يتعلق بماضٍ ملوثٍ بأفعالٍ فاضحة!

المحاكمة

١

كان عليه حسب الخطة أن يفعل شيئًا أخيرًا، أن يخبر ريهام ومصطفى، وأمجد ومنى، والرجل صاحب الورشة الذي أراد أن يتزوج منى، كل هؤلاء تدور حولهم الشبهات، المذبحة التي حدثت في بيته كان خلفها أحدهم، والمبرر لحضورهم أنه يريد أن يصالحهم جميعًا، يشكرهم على ما فعلوه من أجله، يعتذر للبعض عما صدر في حقه من ناحيته، ارتدى أجمل ما عنده من الثياب.. تعطر.. حلق لحيته وشاربه.. اتصل بمطعم قريب لجلب طعام جاهز.. رتب المنزل.. فتح النوافذ.. وعندما حضروا كان كل شيء يبدو مرتبًا وجميلًا وبراقًا، بل وترك الأغنية التي يحبها لكوكب الشرق تنساب من إحدى تطبيقات الفون، بعيد عنك حياتي عذاب..

بعيد عنك مليش غير الدموع أحزان..

كأنه أراد أن يقول للجميع أنّ الأمر انتهى وأنه متروك للشرطة والمحقق حتى يصل إلى نتيجة ما، أما هو عامر فقد أراد أن يبدأ حياة جديدة، وأنه ما من شيء يمكنه إعادة ما كان إلى الحياة أو إيقاف الأيام عن التكرار، الحياة تمضي ولا بد لها أن تمضي، وكما يقولون لا يمكن رؤية الغابة من الخارج كذلك البشر لا يمكن رؤية نفوسهم من الخارج، ودارت الأحاديث حول الموضوعات اليومية.. الرياضة.. الفن.. برامج التلفزيون وبرامج التواصل.. الحرب الدائرة على

الحدود الشرقية للبلاد.. كذلك في الطقس العام.. الشتاء القصير والصيف الطويل واختفاء الربيع والخريف.. ملايين الدولارات يحصل عيها الممثلون ولاعبوا الكرة مقابل ماذا؟ كان سؤال منى وأجاب مصطفى أنها أرزاق، وتدخلت ريهام بقولها لا توجد عدالة اجتماعية، ذلك رأيي، ونظر مصطفى إليها وقال "هذا نوع من الحقد الطبقي". والتفت إليهِ أمجد وقال "لا يمكن أن يتساوى الناس في كل شيء، لكن ما رأيك أنت يا عامر؟".

نظر عامر إلى أمجد وهز رأسه وذكر له أنه يتفق معه، وأنها حظوظ إلهية مقدرة ولا دخل للإنسان فيها، فهناك مَن يعمل ويكدح ورزقه ضيق وهناك مَن يجلس على مكتب فخم وتأتي إليه الأموال بالهاتف، لكنَّ ذلك شيء وتحقيق العدالة شيء آخر، ولا يصح خلط الأمور... انظرو مثلًا إلى ما يجري هناك؟".

نهض عامر وضغط زر التلفزيون وأمسك جهاز التحكم "هؤلاء فقدوا كل شيء في هذهِ الحرب من أجل ماذ؟!".

قال مصطفى زافرًا دخان سيجارته المارلبورو "في رأيي أنّ ذلك خطأ.. الحرب نفسها قرار خاطئ وخطير، كان عليهم أن يتقبلوا الواقع، ثم في النهاية نحن لا شأن لنا بذلك.. وذكرت منى أنّ جارتها أخذت ملاعقها كلها ولم تعدها إليها فماذا عليها أن تفعل في تلك الحالة؟ نظر إليها مصطفى ورفع كتفيه وسكت، وفي لهجة هادئة قال عامر مبسطًا الأمر أنه ليس من أنصار الحروب، لكن إذا كانت هي الحل لرد الحق فلمَ لا؟ ورد عليه مصطفى في تبرمٍ مصطنع "لن نحارب مكانهم، هي حربهم وعليهم أن يتحملوا تكاليفها". وأشارت

منى أنها لا تفهم في عمل المحشي بأشكاله المختلفة لكنها تعشق تناوله ثم قالت في لا مبالاة "اعذروني لا أفضل أحاديث السياسة، ثُمَّ ما الجدوى أصلًا من مناقشة هذهِ الأمور، ونحن نعلم أنها لن تقدم ولن تؤخر؟!".

وتدخل مصطفى وقد راقه كلامها فقال ما معناه أنه من مؤيدي السيدة منى، وما من جدوى فعلًا لكل ذلك الهراء! وراح يسرد وجهة نظره مبرهنًا عليها من خلفيات تاريخيه "العيش في سلام هي أفضل الفرص للحياة، لقد شاهدت الأفلام التي تتحدث عن غزو الفضاء، وهي فكرة أمريكا لتبرهن أنها قائدة العالم الحر، وهي الوحيدة التي تدافع عن الأرض ضد أي عدو خارجي أو داخلي.. قواعدها العسكرية في كل مكان، ثُمَّ هذا هو الواضح، وببساطة هي مَن يدافع عن إسرائيل وكأنها محمية أمريكية! إسرائيل بمفردها لا تساوي شيئًا، الفكرة أنّ الغرب كله خلفها، فهو الذي صنعها لأنها تحمي مصالحه، مَن الذي سيحارب أمريكا؟! انظروا الى الحروب التي خاضعها العرب مع اسرائيل، ماذا كانت النتيجة! العالم الإسلامي كله في سبات، العالم العربي كما ترون لا يحرك ساكنًا فعينا أن نفكر بعقلانية، الحرب دمار وخسارة شاملة، علينا أن نلتزم بمعاهدة السلام العربية، ثم سكت الجميع بعد العرض الهائل الذي طرحه مصطفى، وكان يبدو منطقيًا للغاية.. وساد الهدوء للحظات ثم نهض عامر ودخل غرفة البنات، ظل هناك لخمس دقائق، وقامت ريهام إلى المطبخ، بينما أمسكت منى بالسكين وراحت تقطع الكيكة التي أحضرتها معها من البيت، وهي تقول "تعلمتها من خالتها الله يرحمها". وعندما جاء ذكر جميلة تبادلوا

النظرات.. جلب مصطفى دستين من الكنزات المختلفة وكأنه يحتفي بما حدث.. عندما خرج عامر من الغرفة، وقف بينهم وأسند يديه على الترابيزة وقال كأنه يبدأ القصة كلها من جديد "أردت أن أشكركم جميعًا على الحضور وتلبية الدعوة، وعلى مساندتكم ودعمكم لي، خاصة صديقي المهندس مصطفى والسيدة ريهام، لقد حدثت أشياء مريعة لكنني أحب أن أقول لكم أنّ كل شيء سيصبح على ما يرام.. هناك أمر ما أريدكم أن تعرفوه، أريد أن أقوله للمرة الأخيرة، لكنني سأظل أتذكره ولن أنساه".

وضع يده في جيب سرواله وأخرج نوت بك بغلاف أسود وقال وهو يفتحه "هذا يخص سارة ابنتي، سأقرأ لكم ما كتبته كلمة كلمة، ظنًا منها أنني سأفعل ذلك ذات يوم، لنتناقش فيه معًا لكنها...

الوطن يا والدي يستدعي الفقراء وقت الكوارث والأزمات، لكنه ينساهم وقت الرخاء، طبعًا حضرتك تفهم قصدي لكنني لن أترك ذلك للتخمين وسأقول لك، الوطن لا يستدعي ولا ينسَ، في حقيقة الأمر مَن يديرون هذا الوطن هم من يقومون بذلك..

يفعلون ذلك طوال الوقت..

إنهم يكذبون ويكذبون طوال الوقت ظنًا منهم أننا ننسى..

الفقراء يا والدي يعيشون بالأمل، وهو في غالب الأمر لا يؤدي إلى شيء، لكنه يوفر بعض الأمان للنجاة من ذبحة صدرية، أو يأس مفرط أو إلحاد أو كفر بكل شيء...

من الذي أفسد حياتنا يا أبي".

عندما فرغ عامر من كلامه نظر في وجوه الجميع تباعًا، وكانت عيونهم عليه ثم تابع في صوت متهدج وقد اجهش بالبكاء " كانت حبيبتي، كانت أميرتي..

فاتني أن أضمها إلى حضني للمرة الأخيرة..

فاتني أن أُقبّل جبينها..

فاتني أن أعرف أحلامها وآمالها وهمومها..

فاتني أن أقول لها أنني أحبها".

وانخرط الجميع في الصمت وقد تأثروا بكلامه، اغرورقت عينا عامر وهو يسقط على الكرسي، وكأنه جبلًا سقط عليهِ! ومضى وقت قبل أن يفيق عامر من حزنه، ثُمَّ عاد وامتلك زمام أمره، وقال وهو يخرج من جيبه ميدالية مفاتيح، وقد رفعها عاليًا ليراها الجميع "ميدالية المفاتيح هذهِ هل تخص واحدًا منكم؟". واكتفى كل واحد منهم بهز رأسه علامة على النفي، ثُمَّ سأل أمجد عن لون سيارته فأجاب أنها بيضاء، وأنك يا عامر تعرف.. تلك السيارة التي رآها مصطفى ليلة الحادث في نهاية الشارع.. أليس كذلك مصطفى؟ وأجاب مصطفى بقوله المتأرجح ربما هي وربما لا.. وهنا أبدى أمجد ابتسامة لطيفة وهو يقول "إذًا فأنا القاتل!". ورد مصطفي نافيًا عن نفسه شيهة اتهامه"لا تفهم خطأ يا عزيزي، فالسيارات متشابهة". وروت منى الحكاية من جديد وبتفصيل.. في هذهِ الليلة كنا في السينما، خرجنا في الثانية عشرة، ثُمَّ ذهبنا إلى مسجد الشهيد وجلسنا على مقهى قريب من الحسين، حتى الثالثة فجرًا، وصلنا البيت في تمام الرابعة، هذا ما

حدث تمامًا، ولا بد أنّ كاميرات المقهى توضح ذلك.. هل تشك فينا عامر؟". هز عامر رأسه وقال "أنا لم أقل، بل مصطفى هو الذى أوحى بالفكرة من رؤيته للسيارة". وهنا تلون وجه مصطفى فقال ومراده لي عنق الحقيقة "ليس ذلك كما قلته تمامًا، فقد ذكرت لعامر أنني رأيت سيارة بيضاء على رأس الشارع، هذا كل ما في الأمر". وتدخل أمجد موضحًا حقيقة مصطفي الداخلية دون أن يقصد "بمعنى أنك تشك فينا، وبذلك نقلت شكك إلى رأس عامر". عند ذلك انبرت منى ونظرت إلى عامر ومصطفى وقالت وقد ارتفع صوتها "والدتي اتصلت بي وأخبرتني أنّ صاحب الورشة السيد رضا، وهو معنا الآن أخبرها أنك يا سيد عامر ويا سيد مصطفى ذهبتما إلى ورشته بمنتصف الليل، فهاجمتاه واتهمتماه بأنه قتل خالتي وبناتها فهل ذلك صحيح؟". ونظر رضا إلى عامر ومصطفى، وقال "هذا ما حدث ولم أكذب". هز عامر رأسه وقال "هذا فعلًا ما حدث، لقد كانت في الأساس فكرة مصطفى، أليس كذلك سيد مصطفى؟". واجه مصطفى سيلًا من النظرات المحدقة به وكأنه يوم الحساب الذي لم يكن ينتظره أبدًا وقال بصوت واهن متوتر "كنت أريد المساعدة، وكشف الحقيقة ومعرفة مَن قتل السيدة وبناتها، فهل أنا مخطئ؟ هذا كل ما أردته".

ثُمَّ صمت الجميع.

"هذهِ محاكمة إذًا". قال أمجد.

"الأمر أبسط من ذلك بكثير".

"هكذا فهمنا كل شيء الآن، والأمر متروك في النهاية للنيابة والمحقق، لكن ما أوده الآن هو شكركم جميعًا". قال عامر.

"هل عثرت على السكين؟". تساءلت ريهام، وقال عامر ردًا عليها "لا.. ليس بعد". وتبادلوا النظرات دون أن يتكلم أحد، لكن عامر قطع الصمت من جديد وهو يقول "لكنني سمعت من مصطفي يا أمجد أمرًا مريبًا، حتى زوجتي لم تخبرني به". ونظر أمجد دهشًا وقال "وما ذاك؟ ". قال عامر "مصطفى يدعي أنك حضرت مرة إلى هنا وأنا خارج البيت، وقلت لها أنك تنوي بيع البيت الذي تركه والدنا، وأنك تنوي حرمان البنات من نصيبهن في الميراث!". وارتفع صوت أمجد بالضحك وقال في غضب "هذا كذب". وأدار عامر رأسه صوب منى وقال "وأنتِ أيضًا يا منى كنت على علاقة غاية في السوء مع خالتكِ". وذكر لها ما قاله مصطفى، عندئذ نهض مصطفى وأمجد غاضبين.. أشعل مصطفى سيجارة وزفر بشدة وبدا على وجهه أنه خُدع بهذا الاجتماع، وأنه في داخل مصيدة محكمة للإيقاع به، ونظر مصطفى إلى ريهام شذرًا وقال "وأنتِ ألن تقولي شيئًا؟". نظرت ريهام بوجه غاضب، وقالت "أنت تعرف الآن يا عامر مَن الذي فعلها". ثم نهضت وذهبت إلى الخارج، وبقي عامر ومصطفى وجهًا لوجه.. ظلا صامتين بضع دقائق إلى أن قال مصطفى "ما هدفك من هذا عامر؟"

"لا شيء إنه التداعي لا أكثر".

"التداعي!". كرر مصطفى الكلمة وهو يهز رأسه عجبًا، حتى سمع عامر يقول في لهجة لينة "مصطفى أنا سعيد حقًا بصداقتك وكل ما تبذله من محاولات لمساعدتي في هذهِ المحنة شكرًا لك". قال مصطفى وقد شعر ببعض الراحة "لقد أردت ذلك فعلًا عامر وآسف مرة أخرى على خسارتك". وريهام تنظر لعامر بعيون مختلفة كأنها تواسيه من

جديد "من فضلك عامر اضغط على مفتاح التلفزيون لنرى شيئًا". وإذا بها تمسك جهاز التحكم وتضغط على زر محطة إخبارية.

قلق وشجب واستنكار وإدانة ولا شيء، هؤلاء فقدوا كل شيء.. بيوتهم، ممتلكاتهم، وقتل ذويهم، الجميع بلا مأوى، لا توجد مدخرات لقد سرقها جنود العدو، ولا يوجد ما ينتظرهم، لا بيوت، لا مدخرات، لا وظائف.. كل شيء كما ترى، ماذا سيفعل هؤلاء بعد أن تتوقف الحرب اللعينة، ويرحل هذا العدو المجرم.

خفضت ريهام صوت التلفزيون، وقالت "عامر أنت فقدت أسرتك ترى مَن النازي الذي فعل ذلك بك؟".

لكنَّ العزاء أنك في بقعة مختلفة عن بقعة هؤلاء، الأمر ليس خطيرًا إلى هذهِ الدرجة، والأهم من ذلك الآن هو العثور على ذلك النازي الذي ارتكب هذه الجريمة، ودخل من الباب مصطفى وأمجد ومنى وجلسوا على المائدة من جديد، قالت ريهام "أنا والمهندس مصطفى والمهندس أمجد ومنى دخلنا هذا البيت مرات عدة.. كنا نستطيع دخول البيت بمجرد اتصال تليفوني بك، أو بزوجتك وبحجة معقولة.. كل واحد منا كانت لديه فرصة للحصول على نسخة من المفتاح، وقد كان ذلك متاحًا، لكن هناك واحد فقط يمتلك نسخة من مفاتيح البيت، وهنا دخل البيت وفعل ما فعل". ثُمَّ نظرت نحو عامر وقالت "وأنت أستاذ عامر من الممكن أن تكون أنت مَن فعل ذلك". نظر مصطفى نحوها وابتسم في هدوء، واندهش أمجد لكلامها، وهو يقول "هذهِ ترهات ليس معقولًا ما تقولين". وارتفع صوت منى "وأنا كيف أفعل ذلك

بخالتي وأولادها؟ غير معقول". قال عامر "لكنه وحسب نظرية مصطفى أنه ممكن، فقد كان لديك دافع لقتلها". "وما هو سيد عامر؟".

يقول مصطفى أنها حرمتك من الزواج بالسيد رضا، وزوجتكِ من أمجد دون رغبتكِ، ونظر رضا وقال في رفض "أنا تقدمت وانتهى الأمر، أما عنها فلا أعرف ما حدث بعدها".

قال أمجد في انفعال شديد "تعني أنها تزوجتني رغمًا عنها وبالضغط من خالتها؟ أهذا صحيح يا منى؟!".

ومنى تحاول الدفاع عن نفسها وتقول في رفض قاطع "كل هذا كذب، لقد تزوجتك عن قناعة كاملة، ولم تكن بيني وبين السيد رضا أيّة علاقة، كل هذا كذب". وهنا بسط مصطفى يديه عجبًا وقد تلاحقت الأمور وأصبح الأمر فوضى، وقال ساخرًا "يبدو أنني أنا الوحيد االذي ستتجه إليه الأنظار في نهاية هذهِ المحاكمة، أنا هو الفاعل لكل شيء.. هل هذا ما تريدون الوصول إليه! برافو، برافو.. خطة جيدة سيد عامر، أنتِ بارعة مدام ريهام.. خطة جميلة يا عامر.. لقد تلاعبتم بنا.. ثم ساد صمت هائل وسط ركام المنازل المدمرة، الجميع يبحث عن مهرب، الوجوه التي أصابتها رصاصات العدو تلطخت بالدماء والملابس ببقع الدم.

المحاكمة

٢

وفي لحظة واحدة ساد فيها الصمت طرق الباب طارق..

فتحت ريهام الباب ففوجئت برجل لم تره من قبل، ونهض عامر وتقدم نحو الرجل وقدم الرجل في هدوء واضح "هذا هو المحقق كوزمو". سحب الرجل كرسيًا وجلس دون سلام ولا كلام، ثُمَّ قال بلطف "لقد تأخرت عليكم وأعتذر نيابة عن صديقي عامر، يبدو أنه لم يخبركم بقدومي". ثُمَّ نظر للمائدة وأردف "يبدو أن حفلة الشاي قد فاتتني لكن لا بأس". نهض المحقق ودخل المطبخ ونظروا جميعًا إليهِ وهو يتصرف كأنه صاحب البيت.

هل يريد أحد أن يشرب معي شايًا؟

في الحقيقة أنا أجيد صنع الشاي والقهوة بدرجة امتياز.

في الحقيقة أنا أفضل القهوة، لكنني نسيت البن الخاص بي في مكتبي، أنا في الحقيقة دائمًا أضعه في جيبي حتى أصنع منه وقتما أريد..

وضع البراد.. أخرج علبة الثقاب.. أشعل البوتجاز.. أحضر الأكواب ووضعها بعناية.. وضع السكر داخلها دون أن يسأل كيف سيشربونه.. ثُمَّ مد يده داخل جيب سترته الجلدية، وأخرج منها كيس بلاستيك يشبه الأكياس التي توضع بها الأدلة الجنائية، ونظر وقال "لا بد أنكم جميعًا تتساءلون ماذا يوجد داخل هذهِ الحافظة؟ إنها يا سادة أداة القتل، التي

طعنت بها زوجة صديقنا المظلوم عامر وعليها بصمات كامل أو ربما غيره، كامل مجرد طعم استعمله القاتل ليزيح عنه الجريمة التي ارتكبها، لكن حظه السيء أوقع السكين في مكان ما داخل الغرفة، غرفة نوم القتيلة، وللأسف بالنسبة له لم يجدها عندما بحث عنها بشكل متسرع؛ نظرًا لإحساسه بالخوف في تلك اللحظات، وكان عليه أن يعود مرة أخرى للبحث عنها ليجدها.. وهنا تقدم المحقق من باب غرفة النوم، ودخل ثم عاد وهو يجلب معه أدوات المراقبة التي وضعها، ونظر الجميع نحو المحقق وكأنهم داخل محاكمة فعلية، عندئذ تدخل المحقق وأزال الغموض قائلًا، هذهِ أدواتي أنا، وضعتها داخل الغرفة منذ اليوم الأول لنعرف مَن سيدخلها للبحث عن السكين، وقد دخل هذهِ الغرفة أكثر من شخص، لكنَّ عامر لم يكن متهمًا، لأنني اتفقت معه على ذلك منذ أول يوم حضرت فيه إلى هنا.

لقد خططت معه كل شيء.. أحدكم قاتل وهو يعرف نفسه الآن وبشكل لا لبس فيه، نظروا إلى بعضهم البعض، وكأنَّ كل واحد منهم اعتقد أنه القاتل أو على الأقل راوده الشك في نفسه، وقد ظن أنّ المحقق عما قليل سيلقي القبض عليه بين لحظة وأخرى.

ساد القلق، واحتبست أنفاس الجميع في الصدور، وزاغت أبصارهم.. كل واحد منهم التزم الصمت التام.. الإجراءات التي يحرص القتلة على اتباعها، عدم إقامة علاقات حميمة في الوسط القريب منهم، وقد خالف القاتل ذلك، ونظر المحقق إلى أمجد ومصطفى مطولًا.. وأيضًا لا يستخدم أداة يعرف أنها قدمت كهدية عيد ميلاد، أليس كذلك سيدة ريهام، وفهمت ريهام مغزى عبارته فالتقطت أنفاسها، وابتسم داخلها

طربًا، وراح المحقق يدور حولهم جميعًا متوقفًا عند كل واحد منهم، واضعًا يديه على كتفيه متكئًا عليه، حتى لكأنَّهُ وجد ضالته حتى تشكك عامر أنه القاتل! المعني بكلام المحقق دون أن يدري، وربما فعلا نفذ الجريمة دون وعي منه، مَن يدري، ها هو بالفعل وقد شك في نفسه، وعما قليل سيعلن المحقق كوزمو أنّ السيد عامر هو قاتل زوجته وبناته، وتسبب في هروب ابنه ومطاردة الشرطة له، لكن هل لدى القاتل الشجاعة الآن ليعلن عن نفسه.. لا طبعًا سينتظر حتى أخر لحظة لعل المحقق يتهم آخر غيره، ظنًا منه أنّ شخصًا آخر فعلها، وأنَّ ذلك لم يكن بحسبانه، لقد دعاكم الأستاذ عامر بناء على ما اقترحته عليه أنا، أنا في الحقيقة صاحب الفكرة، أنتم جميعًا، أستاذ عامر، مهندس مصطفى، مهندس أمجد، مدام منى، مدام ريهام، السيد رضا.. كل منكم متهم بقتل السيدة حرم الأستاذ عامر، وكل واحد منكم لديه الأسباب الكافية لفعل ذلك، كل منكم كانت لديه الفرصة لفعل ذلك الأمر الشنيع، كل منكم هدد القتيلة بالقتل دون أن يدري.. والآن أطلب منكم أن ترفعوا رؤسكم إلى أعلى، إلى سقف هذه الغرفة.. ستلاحظون وجود أباجورة في منتصف الغرفة، مصباح كهربي ولا شيء آخر كما ترون، هذا ما يبدو لكم؟

هل توافقونني الرأي؟

لكن لو دققتم النظر قليلًا ستجدون ثقبًا صغيرًا في إحدى زوايا الغرفة، في الحقيقة هذا ليس ثقبًا عاديًا، لكنه منفذ لكاميرا صغيرة جدًا متصلة في مكان ما بدائرة تلفزيونية، واتجهت الأنظار إلى مصطفى فهو الذي يسكن فوقه مباشرة، انتفض مصطفى فجأة وبدا كالمجنون وهو

يصيح: أنا لا أعرف، لقد استأجرت هذهِ الشقة من عامين، ولم أقم بأي تجديدات، في هذهِ اللحظة نهض عامر واتجه مباشرة نحو مصطفى، وأمسك بتلابيبه وقال "أخبرتني أنك هنا مُنذُ ثلاثة أعوام وأنك صديقي". ورفع يده عاليًا ولكمه في وجهه لكمة عنيفة أطاحب به على الأرض ثم انقض عليه وهو مسجى على الأرض فتدخل المحقق وخلصه من بين يديه، انفلت مصطفى من بين يدي عامر بصعوبةٍ بالغة.. ونظر مصطفى للجميع بنظرات زائغة ثم راح يوزع عليهم الشتائم، كال هو الآخر لهم الاتهامات بأنهم خونة وسفلة، ولا يستحقون الاحترام ولا التقدير وأنّ عامر زوج فاشل وغبي. وفي غمرة هذا الهياج سأله المحقق "هل كنت تعرف أنّ عامر سيكون خارج البيت؟ انتاب مصطفى الخرس لكن عامر بادر بالإجابة قائلًا "أنا أخبرته عصر يوم الجمعة أنني سأذهب للمبيت خارج البيت". فتش مصطفى في جيوبه فنظر إليه عامر في هلع، وقد اعتقد أنه سيخرج المسدس من جيبه ليقتل الجميع ويفر هاربًا فصاح محذرًا "سيخرج المسدس من جيبه انتبهوا جيدًا". في تلك اللحظة شعر مصطفى بإحباط شديد، وقد اكتشف أن جيوبه خاوية تمامًا فخار كالثور المذبوح وجثى على ركبتيه.

"والآن سنصعد إلى أعلى لنتحقق، ربما كنا مخطئين في الظن بالسيد مصطفى، فربما كانت الكاميرا متصلة بشقة أخرى هنا، أو في البيوت المجاورة، أو حتى في شقة العجوز المسنة فلها أحفاد أشقياء". دخل المحقق بيت مصطفى وراح ينتقل من غرفة إلى غرفة إلى أن دخل غرفة المكتب.. بحث في المكان فوجد الأسلاك المتصلة بالكاميرا،

والدائرة الكهربية بالتلفزيون، وعلى طريقة مخرج السينما قال "والآن لنقل ما ينبغي قوله لقد كان يعرف كل شيء، كان يعرف أنك يا أمجد جئت إلى هنا، ودار حديث بينك وبين المرحومة، وانتهت المقابلة نهاية عنيفة، لقد اتهمتها أنها أرهقت شقيقك واستنزفته ماديًا وعاطفيًا، وأنها لا تشبع من الطلبات التي لا تنتهه، حتى أنَّهُ ان يقترض منك مبلغًا كل شهر ليسدد طلبات المنزل حتى وصل الأمر أنَّهُ لب بيع حصته في ميراث أبيه فرفضت ذلك وأنك في النهاية هددتها أنك ستدمر حياتها إن لم تهتم بشقيقك.. أليس كذلك؟ ثم اقترحت فعلًا على عامر أن يطلقها، وأنتِ سيدة منى كان لك أيضًا حوارًا مع خالتك، لا يقل ضراوة عن لقاء زوجكِ أمجد بسبب هذا الرجل الجميل رضا، لقد كانت بينكما علاقة واتفاق على الزواج؛ لأنَّ السيد رضا متزوج ولديه أطفال رفضت خالتك جميلة، كما أنها أرادت أن تبعد كامل عنكِ لأنَّهُ كان يشعر نحوك بعلاقة حسية رغم أنه يصغركِ في السن، فأرادت أن تضرب عصفورين بحجر واحد، وأنت يا سيد رضا جئت أيضًا إلى هنا، وهددتها بالقتل إذا حاولت منعك من الزواج ببنت شقيقتها، لأنها وقفت في طريق زواجك من منى.. وأنتِ سيدة ريهام قدمت لها السكين، ثُمَّ دار بينكما حوار حول علاقتكِ بعامر فقالت لكِ أنها ستقتلكِ بنفس السكين، إذا اكتشفت فعلًا تلك العلاقة بينكما، وأنتِ تعرفين بشأن الورقة التي عثر عليها عامر بين أوراق جميلة، وهنا في هذا المكان هددتكِ جميلة بفضح أمركِ في عملكِ، مصطفى كان يعرف كل ذلك، مع هذا كله لم يستطع أن يتفادى وقوعه في الشك، والآن أحدكم سيسأل من أينَ عرفت كل ذلك، رغم أنني لم أطلع على ما حدث بالفعل وما سجلته الكاميرا؟ والحقيقة أننا حصلنا عليها من اليوم الأول، بطلب

تفتيش الشقة في وقتٍ سابق، لقد اكتشفت تلك الكاميرا في المرة الأولى، التي حضرت فيها معاينة الشقة.. أليست هذهِ مفاتيحك القديمة؟ لا تنكر لقد وصلنا إلى صانع الأقفال، يا سيد عامر، السيد مصطفى لم يكن صديقك في يوم ما، لقد كان صديقًا لمصلحته فقط وكنت تجلب له الأقراص وتدخن معه السجائر، ويعرض عليك تدخين الشيشة والخمر، وكان في الحقيقة يعرف كل شيء يحدث في بيتك، كان يعرف كل مشاكلك مع السيدة جميلة.. السيد مصطفى ذكر أنه رأى كامل قادمًا بدراجته من أول الشارع، وأنه رأه حتى دخل البيت، لكنَّ الحقيقة غير ذلك، وهنا تدخل عامر قائلًا أنّ كامل خرج من البيت يوم الخميس، وأنه ذكر بأنَّهُ لن يعود إلى البيت، وأنه سيقضي ليلة الخميس ونهار الجمعة عند أحد أصدقائه. ترك كامل دراجته في مكانها بالبيت، ولم يغادر بها.. لذلك يا سيد مصطفى فإنَّ روايتك كاذبة ومضللة، كيف ستدافع عن نفسك الآن؟!".

جولة أخرى

في الجلسة الثانية في اليوم التالي ذهب للطبيب وسأله، هل سيستمر في العلاج أم يفضل بقاء الوضع على ما هو عليه؟

ونظر إليه متسائلًا كم نسبة النجاح؟ فأخبره الطبيب أنها معقولة وسأل عامر "هل توجد أدوية لإبقاء الوضع على ما هو عليه". فقال الطبيب مبتسمًا "ربما نفكر في أمرٍ ما".

"وما رأيك أيها الطبيب؟".

"ليت الإنسان يستطيع أن يفقد ذاكرته بين فترة وأخرى، لينسى كيف بدأت الاشياء وكيف انتهت؟ ليبدا من جديد في كل مرة".

"حتى أنت يا دكتور".

"حتى أنا.. أنا مجرد إنسان يا عزيزي، الواقع مرير وصادم.. الهروب إلى المستقبل أفضل، المشكلة يا عزيزي في ضغط الواقع علينا حتى لا نكاد ننجو منه".

وسمع عامر صوتًا جاء من خلفه، ولم يلتفت وراءه، مضى كأنه لم يسمع، لكنه من جديد سمع نفس النداء، نفس الصوت "عامر انتظر". عند ذلك وقف جامدًا متسمرًا في مكانه، لم يستدر ولم يلتفت حتّى جاءت أمامه وساعتها شهق كطفل من هول المُفاجأة! مازالت بنفس الوجه، بنفس النضارة، بذات العينين الرماديتين الغارقتين في الدهشة، وهي تنظر في وجهه وتقول "هل هو أنت حقًا؟". ومدت يدها فأخذ

أطراف أصابعها وجذبها برفق، ثم احتوى كفها الصغير داخل راحة يده، وقبض عليها وكأنه يقول في نفسه: حتى لا تضيعين مني مرة أخرى.. ضغط عليها لكي يرى ابتسامتها، التي كانت بالأمس كضوء الشمس، عانق أصابع يدها لكنها في لحظة ما انفلتت منه، وهي تقول: مستحيل يا عامر، مستحيل، ذلك ليس ممكنًا، أنا هناك، هناك، هناك، وتقلب عامر وهو جالس على المقعد الخشبي أسفل الساعة العتيقة الساكنة، ثم نظر حوله باحثًا في جنون عما كان يحلم به في نومه الخاطف القلق.

آخر فبراير.. الشتاء العاري من المطر، ما عاد الربيع يعرف هذهِ البلاد مُنذُ أعوام عدة، صيف طويل حار جدًا، انقلاب صيفي يبدأ من الثلث الأخير من يونيو وشتاء قصير جدًا، يبدأ مع انقلاب شتوي من الثلث الأخير من ديسمبر..

اختفى الربيع والخريف، وبدا له جسده كسمكة قوية تشق طريقها في أعماق البحر، نحو السطح المكتسي بالهدوء النسبي، ونظرت السمكة العملاقة ثُمَّ عادت تسبح بحذاء الشاطيء. وأحس عامر بقطرات عرق باردة على بدنه تحت فراشه الدافئ نوعًا ما، تقلب أرقًا، أيها النائم.. قم واتلو تعويذة كانت في رأسك ليل الأمس، هل تتذكر؟ الأمس مضى، والآن أنت حي فقم وانظر ماذا أنت الآن؟ شجرة في شتاء بلا جذور أم نبتة صغيرة في عراء الخريف؟ وأفاق على صوت المحقق.

"والأن يا سادة سنكشف كيف حدث الأمر، لقد استغل القاتل أمرًا ما بنى عليه جريمته الكبرى، دخل من الباب بشكل عادي جدًا، استخدم السكين والمسدس كاتم الصوت، وضع البصمات على المسدس لكنه

وبسبب الارتباك وإحساس القاتل أنّ الأمر سيخرج من يده عندما أحس بوجود الشابتين، كان عليه أن يتخلص منهما بشكل تام، براعة القاتل تجلت في استخدامه وقت انقطاع التيار الكهربي، فترة زمنية كافيه ليقوم بجريمته دون أن يلاحظه أحد، لكن ظهرت في تلك الحظة مشكلة لم يكن القاتل يفكر فيها كثيرًا، كان يعرف أنَ كامل يعود متأخرًا في الثانية بعد منتصف الليل تقريبًا، لكنه في هذهِ الليلة عاد مبكرًا بساعة ونصف تقريبًا، وكان عليه أن يتحرك.. لقد شعر القاتل بصعود أحد ما على السلم، ولم يكن في حسبانه أنَّهُ كامل لكنه سمع الباب ينفتح فانتظره خلفه، وعندما دخل كامل انقض عليه بعقب المسدس فأسقطه على الأرض، ووجد القاتل الفرصة سانحة لجعل الجريمة في عنق كامل، وضع بصمات الشاب على المسدس ثم عاد للبحث عن السكين لكنه لم يستطع العثور عليها، هل انتهى الأمر عند هذا الحد؟ لا بالطبع، كان عليه أن يثبت أنَ كامل بعد أن ارتكب جريمته، هرب حتى تبدأ الشرطة في مطاردة كامل، وبالتالي يبتعد هو تمامًا عن الشك، لكن السؤال الذي يدور في أذهانكم الآن وأين كامل؟ ثم أين أخفاهُ القاتل، في الحقيقة أنّ كامل لم يخرج من البيت، لقد ظل ليومين كاملين داخل مكان ما، ونظروا جميعًا وكأنهم تساءلوا، هل خبأه داخل شقته؟!

لكنَّ أحدًا لم يتكلم، لقد نظروا جميعًا واندهشوا لكل ذلك، الذي حدث حتى الآن، حاول المحقق كوزمو أن يكمل لكنه تراجع عن الكلام في اللحظة الأخيرة "أين هو الآن أيها المحقق؟. لقد قلت أنكم عثرتم عليهِ مطعونًا بجوار شاطئ النهر".

قالت ريهام ورد عليها المحقق "لقد كان ذلك ضمن إطار الخطة التي رسمتها للإيقاع بالقاتل دون أن يدري، يعني أنَّ القاتل ربما طعنه بنفس السكين". قالت منى ودموعها تسيل على خدها:

"مجنون فعلًا".

"لا، لا إنه مريض". قال أمجد.

"كما قلت كان القاتل ذكيًا لدرجة أنه استغل كل شيء حتى ينأى بنفسه عن الشك مع ذلك فاته شيء مهم".

ثم نظر المحقق إلى مصطفى وهو يصفده بالأصفاد "هل تعرف ماذا كان هذا الشيء سيد مصطفى؟".

مط مصطفى شفتيه وقال في لا مبالاة:

"إنها قصة طريفة جدًا رغم وضوح القاتل؟".

"هل تعتقد ذلك فعلًا؟".

وراح المحقق يدور حول المقاعد، وهو يضع يديه على كتفي الواحد منهم حتى النساء "أظن ذلك، لكن الأمر بسيط جدًا في الحقيقة أنا أطلب من السيدة ريهام أن تذهب الآن للمطبخ، وتبحث عن السكين بطريقة متأنية؛ لنعرف هل ستعثر عليها آم لا؟" انصاعت ريهام ودخلت المطبخ، وراحت تفتش في الأدراج واحدًا واحدًا، وكانت تقول لقد بحثت عنها ولم أجدها، وقال المحقق في ثقة تامة "ابحثي من فضلك بشكلٍ جيد وأقل توترًا".

استغرقت ريهام وقتًا حتى صاحت في لحظة ما، ها هي السكين المشرشر، إنها سكينتي، هل أنتِ متأكدة من ذلك؟

سألها المحقق فقالت في تأكيد وإصرار "نعم أعرفها، إنه السكين الذي أهديتها إياه في عيد ميلادها منذ شهرين". نظر المحقق وقال في هدوء "من فضلك أعيدي النظر مرة أخرى". ونظرت ريهام من جديد وأكدت أنها نفس السكين المشرشر. مد المحقق يده إلى جيب سترته، وأخرج غرضًا مغلفًا، وقال هذا هو السكين، ثُمَّ أخرج من جيبه عدسة مكبرة ووضع الاثنتين على المائدة، وقال "خذي وانظري وأجيبي عن السؤال، هل السكينتان متشابهتان أم بينهما اختلاف ما؟". قالت ريهام بعد أن نظرت "معك حق إنهما مختلفتان". وأردف المحقق كوزمو "أداة الجريمة بها حفر غائر بالقرب من نهاية النصل، عند قاعدة السكين العاجي، مكتوب عليه سنة الصنع مع شعار دقيق للشركة المنتجة، السكين الآخر مقلد، ودون الحفر وهذا ما اشتراه القاتل، ثُمَّ دخل ووضعه في المطبخ ليقول ها هو السكين المشرشر، وليس عليه بصمات أحد، بل ربما وضع عليه بصمات كامل ليثبت التطابق بين بصمات أداتي الجريمة".

قال أمجد وهو يقف "وكيف جاء السكين إلى المطبخ؟" وقال عامر "أنا لم أجلب شيئًا إلى البيت حتى البطارية، التي أحضرتها للساعة ما زالت في جيبي، لقد دخل القاتل في وقت سابق وبحث عن السكين، ولمَّا لم يجده تأكد أنه ضاع، واطمئن أكثر، وأنا اتفقت مع عامر وكتبنا على صفحته أنّ الشرطة لم تستطع العثور على السكين، مما زاد القاتل اطمئنانًا، وأنَّ كامل ربما أخذه معه، وقد قام القاتل بوضع السكين قي المطبخ ليوحي لنا بذلك، وربما ليقول أنه لم يستخدم في القتل، وماذا عن كامل؟

هنا نظر المحقق إلى مصطفى الذي بدا عليه الاضطراب، وتلون وجهه لكنه لم يتكلم، عندئذ قال المحقق "سنذهب معًا في جولة قصيرة بضع درجات إلى أسفل لنرى بقية الحقيقة، السيد مصطفى يعلم بطبيعة الحال أينَ سنذهب؟".

حاول مصطفى أن ينفي كل شيء، وأنه استاجر الشقة ليضع فيها بعض الأغراض التي لا يحتاج إليها، وقلت وهذا ما أخبرني به عندما سألته عنها، قال المحقق نعرف ذلك.. نريد فقط أن تعرفوا بعض الأشياء الأخرى، التي يخفيها السيد مصطفى بتلك الشقة.

لقد أحس في تلك الحظات أنه المعني بكل ما حدث، وأنه سقط في هوة لا نجاة له منها.

اللمسات الأخيرة للحكم

عندما وصل الجميع إلى الشقة الأرضية، مد المحقق يده إلى مصطفى، وطلب منه المفاتيح وهو يسأله، أهذهِ شقتك؟

ودون أن ينتظر المحقق قال، لسنا بحاجةٍ إلى ما معك سيد مصطفى.. أعطني ميدالية المفاتيح التي وجدتها في بيتك سيد عامر.. مد عامر المفاتيح التي وجدها في بيته إلى يد المحقق وسط دهشة الجميع وأصواتهم تأتي متتابعة.. أنت مصطفى غير معقول.. مجنون.. مريض نفسي بالتأكيد.. والمحقق يقول "هدوء يا سادة حتى نعرف ماذا يوجد داخل الشقة، فتح المحقق ودخلوا جميعًا.. غرفة وصالة وحمام ومطبخ، كانت منظمة، ولا يوجد بها ما يدل على أنها ستكون مخزن للنفايات، والأشياء الغير ضرورية التي ذكرها مصطفى سابقًا، الغرفة بها سرير وترابيزة وكرسيان مع دولاب ملابس وتسريحة، فتح المحقق الدولاب فإذا بها ملابس.. فساتين.. سراويل جينز.. قمصان للنوم وروب نسائي.. ووجد في الأدراج السفلية جوارب وملابس داخلية وزجاجات عطر، وعلى التسريحة أدوات ميك أب.. وحدق عامر في الملابس وطال تحديقه، ثُمَّ تمتم في صوتٍ خافت لم يسمعه أحد، فساتين.... نحن في حالة مادية مزرية يا عامر أفندي، تعرف ذلك جيدًا، لكنك لا تفعل شيئًا لتحسين الوضع.

قالت لهُ وقتها في ضيق وتبرم ما كانت تقولهُ دائمًا، ولكنه كان يعرف أنها تذهب لصالون التجميل كل شهر لتغير لون شعرها وأنها تجلب

جوارب جديدة وأحذية، ولديها أدوات تجميل وزجاجات بارفان ذات أثمان غالية، وحتى بعض قطع الذهب في أذنيها ومعصمها، ولم يسألها، لكنه كان يظهر دهشته ويصمت ربما كان يقول في نفسه "إن ربة المنزل وزير مالية ممتاز، وأنَّ المرأة تحسن إدارة منزلها بشكلٍ جميل".

لم يسمع أحد ما قاله، فقد كان يشبه الهمهمة، ثُمَّ انتقل المحقق إلى المطبخ، كان واسعًا، نظر وقال أتدرون مَن كان هنا؟ ونظر الجميع في دهشة ولم يفكر واحد فيما يجول بخاطره، رغم أنهم خمنوا الإجابة عن سؤال المحقق الذي نطق الاسم، نعم كامل كان هنا ليومين كاملين بدون طعام ولا شراب، مغمض العينين وعلى فمه لاصق بالستيك قوي.. لقد استخدم القاتل أدوات شديدة التعقيد في الفتك بجسده، هل.. سأل الجميع وأجاب المحقق: للأسف لم يكن يتحمل ما فعلهُ به كل ما حدث هنا.

وثب عامر برغبة جامحة ليفتك بمصطفى، قبض على رقبته قبضة محكمة، ومصطفى يحاول التملص منهُ دون جدوى، وانهال عليه ضربًا ولكمًا وبصقًا على وجهه، والجميع يشاهد ما يحدث دون حركة، لقد كان داخلهم جميعًا رغبة واضحة في الفتك بمصطفى فتركوه يفعل بهِ ما كان يريد أن يفعله كل منهم، وقف أمجد ساكنًا يضغط على أضراسه بينما منى وريهام سقطتا على الأرض، وحتى انتهى من إبراح مصطفى ضربًا وركلًا حتى تناثر الدم من وجهه على ملابسه البيضاء.. تحرك المحقق نحوه وأبعده عنهُ بصعوبة بالغة، لكنَّ السؤال الذي لم يسأله، ما السبب وراء كل ذلك؟

ولم يكن بحاجةٍ لمعرفة الإجابة التي عرفها مسبقًا، وقد أدرك بعينيه ما لا تستطيع الكلمات التعبير عن فداحته.. كان مصطفى يدرك من اللحظة الأولى ما أخبرتهُ به، من أنه لا يتذكر شيء عن الماضي كما أنه أدرك أنّ شعوره الداخلي كشعور مسافر، ابتعد طويلًا عن ذويه ففقد درجة الشغف والإحساس بهم، كما كان يعرف عمق الخلافات التي كانت بيني وبين وجميلة، وعرف مصطفى الأسباب التي جعلت جميلة تنفر منه، وعلاقته بريهام، وأنه لم يقرب جميلة منذ بضعة شهور، واكتشاف جميلة لحبه القديم، من خلال رؤيتها لصورتها في حافظة نقوده منذ بضع سنوات، كما أخبرته جميلة بلسانها، ثم أدرك مصطفى لحظات الحرمان التي تعيشها الزوجة عاطفيًا ونفسيًا وماديًا، وأحس هو أنّ عيونها اتجهت إليهِ في لحظات الضعف التي سيطرت عليها، لكنَّهُ لم يتأكد تمامًا إن كان لديها الرغبة في ذلك أم لا، لكنه غذى ذلك التفكير وتلك الرغبة التي قرأها في نظرتها إليهِ من وقتٍ لآخر، فوضع خطة للتقرب منها.. تلك الخطة التي قادته إلى النهاية الأليمة التي وصل إليها في نهاية المطاف.. بدا مصطفى كما لو أنه لا يهتم بكل ما حدث، ربما أدرك بإحساسه الداخلي أنه لا بد من لحظة سقوط، ولا بد من دفع ثمن ما لجرائم لا تسقط مع الوقت، نظر إليهم وقال مبررًا جريمته "لست الفاسد الوحيد بينكم هنا، الجميع فاسد بدرجات مختلفة، ليست هناك كرامة كاملة ولا سقوط كامل، نحن أبناء مواقفنا ولحظات ضعفنا البشري، لست ملاكًا ولا أنتم، إني شيطان صغير داخل كومة اللحم التي أمتلكها.. أنتم أيضًا بداخلكم شياطين تظهر من حين لحين، لكنَّ الجبن يمنعكم من ارتكابها، وضحك مصطفى ساخرًا حتى بدا كأنَّهُ يعيش لحظات من الجنون! أنت يا عامر

كنت سببًا رئيسيًا فيما وصلنا له، كنت ضعيفًا وخاويًا، وأنتِ ريهام كنت كعلبة الثقاب وأنتِ منى وأنت أمجد وحتى أنت أيها المحقق، كل واحد منكم لديه تلك النفس الأمارة بالسوء، إنه فقط الوقت والزمان المناسبين لفعل الفساد، وارتكاب الشرور الكاملة داخل كل واحد منا.. نعم كنت أعشق التعامل مع النساء اللاتي يكبرنني، كنت أجد عندهن ما أريد من مال وعاطفة، ورغبات مجنونة تحمل عني العبء المادي، لذلك وبخطط بسيطة أجد نفسي مستمتعًا بكل ما أريد، أنا أنمو مثل النظام الفاسد في جماعة أو تنظيم أو حتى دولة، من الداخل وفي صمت حتى أنتهي من مهمتي لأبحث عن أخرى، أنا الفاسد الذي يعيش في الجميع، أنا الشيطان في كل بيت، في كل رجل وامرأة، أنا الكسول الذي يريد التمتع دون تحمل أعباء النزاهة والكمال.. أنا في كل مكان، ولا بأس في النهاية من السقوط ووجود العدالة.. العدالة يا لها من كلمة مطاطة خبيثة! لكن هناك درجات لكل لون، هناك عقوبات.. لا أحتاج لومًا ولا عتابًا فاتركوا ذلك لغيركم، أنا أرى تلك النظرات في عيونكم، الحقد والرغبة في الانتقام.. هيا عامر خذ السكين وهذا جسدي مفتوحًا أمامك، ليستقبل كل الطعنات التي تريد توجيهها إلى جسدي، انتقم لبناتك، لكن دع زوجتك فقد كانت تستحق ما حدث لها.. انتقم لكامل فقد كان شابًا نزيهًا فتيًا، قدره أنَّهُ اء في طريقي في لحظة لم أحسب حسابها، ولا هو كان يحسب حسابها.. لكنَّ أحدكم لا يريد أن يسألني لماذا حدث كل ما حدث؟"

في تلك اللحظة مر بخاطر مصطفى، أنَّ جميلة اتصلت بهِ ذات يوم وقالت له أنها حامل في أربعة أشهر، وأنَّ الجنين الذي تحمله في

بطنها هو ابنه، وعليه أن يتحمل المسؤولية.. تفاجأ مصطفى بقولها لكنَّهُ اعتبر أنّ الأمر عارض، وأنه سيمر سريعًا ببعض التفاهمات مع جميلة، قال لها أنتِ امرأة متزوجة جميلة والطبيعي أن تكوني حامل، لكنها فاجأته بقولها أنّ عامر لم يقربها منذ ستة أشهر كاملة وطالما الأمر كذلك فإنها تريد أن يكون ما في بطنها منتسبًا له، ورد عليها مصطفى في توتر وعصبية "أنتِ مجنونة جميلة". وعلا صوت جميلة وهي تقول أنا أحذرك من التلاعب بي، أنا سأطلب الطلاق من عامر وبعدها سنتزوج أنت وأنا.

"أنتِ أكيد مجنونة".

وكرر مصطفى جملته، التي جعلت جميلة تهتاج بشكل مريع فرفعت صوتها بشكل مبالغ فيه، وهي تقول "لست مجنونة، لكنني أحبك بجنون يا مصطفى، وسأفعل أي شيء لأتزوجك بعد طلاقي من عامر، أتفهم ما أقوله جيدًا؟".

"لكنَّ هذا مستحيل جميلة، إنه غير منطقي وغير واقعي".

"عليك أن تتأكد من ذلك، وسيحدث ما أريد وإلَّا". قالت جميلة بنفس اللهجة الحادة المتوعدة.

"هل تهددينني جميلة؟". قال مصطفى في خوف.

"لا، لكنَّهُ مجرد تحذير لما يمكن أن تفعله جميلة".

"وبماذا تهددينني؟".

"أظنك تعرف ماذا يوجد في الشقة الأرضية، ثُمَّ إنني سجلت مكالماتك على هاتفي".

عامر عليك أن تبدأ الآن من جديد بروح جديدة وبأحلام جديد، الوقت لم يتأخر بعد، لكن عليك أن تعيش مع مَن تحبه ويحبك.. إياك يا عامر إذا أردت الزواج أن تتزوج امرأة لا تحبك ولا تحبها.

إياك أن تتزوج لمجرد الزواج أو المتعة، لا هذا ليس زواجًا، إنه نوع من الزنى!

عليك أن تشرب من الإناء الذي تحبه حتى تستمتع به، وحتى ترتوي منه دون حاجة للشرب من إناءٍ آخر.

نهاية الهر

هيّا أيها المحقق، مصطفى جاهز لكل ما تريده عدالتك.. أنت فعلًا محقق ذكي أثبت أنك المحقق الأول في العاصمة، عليك أن تكون جاهزًا في كل وقت، فالجرائم أصبحت لا تعد ولا تحصى، والمجرمون متلونون بكل الألوان.

في الثامنة مساءً اقتادت الشرطة مصطفى مكبلًا بالأغلال من الخلف، كان الشارع مكتظًا بالناس، خرج من الباب وكان مبتسمًا وهو يستقبل الشارع بعينيه وكأنَّهُ يقول "نهاية المطاف!".

وسيارة الشرطة تقف على رأس الشارع، وكان على مصطفى أن يسير معهم، مخترقًا صفوف وحشود الناس، رأى نظرات الناس متباينة، لكنَّ المؤكد أنَ مصطفى لم يستطع رفع رأسه، لقد ظل منكس الرأس حتّى وصل إلى سيارة الشرطة.. بعد عشرة أيام ذهب عامر إلى الطبيب ومعه ريهام جودت.

تحدث الطبيب عن إمكانية عودتي إلى حياتي الطبيعية، خلال وقتٍ ما مع الأدوية، وريهام تقول يمكنك أن تتذكر ما كان، وبعدها ستعود إلى ما قبل اللحظة التي استيقظت فيها، والطبيب يؤكد أنه سيعود إلى البيت الذي كان يعرفه، لكنه لن يكون موجودًا بالشكل الذي تركه عليه. نظرت ريهام إليه وقالت: سيحتاج الأمر إلى شرح القصة من جديد.

نظر إليها عامر وقال "لكن عليك روايتها بشكل يكون أقل حزنًا مما كانت عليه". وقال الطبيب "لا شيء أشد قسوة وعنفًا من الواقع حتى أنه أكثر مما يبدو في الروايات وعالم الخيال.. الواقع أشد قتامة وعنفًا وبؤسًا سيد عامر، كن بخير من أجلك". وخرج من عيادة الطبيب إلى الشارع تحت زعم العودة إلى ما كان، لكنه الآن يعلم أنَ جميلة قتلت، وأنَ مصطفى يواجه حكم الإعدام، وأنَّ بيته أصبح فارغًا هو والعدم سواء، هناك مَن يعرف كل شيء.. يعرف كل التفاصيل التي حدثت في بيتك، قرأت رواية (صامويل بيكيت) التي تتحدث عن العلم الكلي للأخ الأكبر، إنه يعرف يا عامر ما فعلتهُ جميلة وما فعله مصطفى.. يعرف كيف عذب مصطفى ابنه كامل بكل جنون؛ من أجل محو جريمته، لكنَّ الأخ الأكبر لم يفعل شيئًا.

قتل مصطفى طفلتيه، ولم يفعل شيئًا حيال ذلك، وكان يعرف، كان يعرف أنّ المخدرات في الشوارع ولم يفعل شيئًا، كان يعرف ما يحدث في كل مكان، لكنه كان سعيدًا بكل تلك الأفعال الشنيعة.. هذهِ الصور الكئيبة ستلاحقك يا عامر مدى حياتك، خيانة جميلة وخيانة مصطفى، مقتل البنات وتعذيب كامل ثُمَّ قتله، لن تنسى ما حييت وجه كامل وأنت تراه مسجى دخل المشرحة.. سيلاحقك العار أينما ذهبت، فمَن سيمحو عنك تلك الوصمة؟!

الحياة لا تراهن على الجبناء..

الحياة تفضل المغامرين وأصاحب القلوب القوية..

الحياة تشبه العاهرة التي تجعل نفسها تحت حماية البلطجي..

صور القتلى والمشردين، والركام الذي يملأ الشوارع والساحات ستظل ماثلة أمام عينيك..

ستظل عاجزًا عن إدراك اللحظة التي لو كنت فيها لربما تمكنت من إنقاذ الأرواح..

ستظل هكذا حتى تستبدل قلبك الضعيف وروحك الخاوية، ولسانك الصامت بما يملكه مريض نفسي، أو قاتل تخلى عن الحرص والحذر، وكل المبادئ التي تجعل الحمقى يفكرون في الحياة، على أنها ملاذ آمن ولو ببيع أنفسهم لوهم الرضا والمتاح.

السقوط

وقف مصطفى أمام المحقق مقيدًا بالأصفاد، وقد أدرك أنّ الأمور قد انتهت..

نظر المحقق وأشار إليهِ أن يجلس..

جلس مصطفى على حافة المقعد، وأسند ساعديه على فخذيه بينما أخفض رأسه إلى الأرض.

"لماذا.. وكيف؟".

"كيف عرفت؟".

ورفع مصطفى رأسه في تثاقل ونظر للمحقق.

"فتات الطين في غرفة القتيلة، الكاميرا ليلة الحادث عندما نظرت إليك من أعلى إلى أسفل، رأيت بقعة دم على سروالك ولم أسألك عنها، لقد تركتك حتى تعتقد أنني لا أشك فيك، ثُمَّ الجرح الذي في يدك اليمنى، أظن أنك أعثر سيد مصطفى، فقد ذكر التقرير أنّ السكين استخدمت باليد اليسرى، لا بد أنّ مقاومة المجني عليها لك جعلتك تجرح نفسك.. ذلك الجرح الذي في يدك اليمني، والدماء التي تركها على السكين وأنت ترتدي القفاز".

غاص مصطفى في المقعد، وأسند رأسه للخلف، ووضع ذراعيه على ذراعي المقعد، ثُمَّ رفع رأسه إلى السقف، وقال وهو يبتسم ابتسامة رجل مهزوم.

"انتهى كل شيء". قال مصطفى يائسًا.

"انتهى..". قال المحقق في ثقة وتأكيد.

ثُمَّ توجه المحقق إلى كاتب التحقيق، وقال "لنفتح تحقيقًا أيها الكاتب، ونظر إلى مصطفى وقال في لهجةٍ حاسمة "اسمك، سنك، عملك، عنوانك.. أنت متهم بقتل كُلًّا من.. السيدة جميلة عبد الله.. الآنسة سلمى عامر يوسف المليجي.. الآنسة سارة عامر يوسف المليجي.. الطالب كامل عامر يوسف المليجي.. ما قولك فيما هو منسوب إليك؟".

تمّت

المحتويات

يوم عاصف ٥
مفردات يومية ٢٦
نهار ساخن ٣١
ليلة عاصفة ٣٧
عودة لما حدث ٤٤
اليوم الأخير مع العائلة ٤٧
ليلة القتل ٥٠
فضفضة ٥٩
معاناة ٦٣
عما حدث ٦٩
بداية بسيطة ٧٣
اعتراف صغير ٧٧
طيور يونيو السوداء ٧٩

ريهام جودت.....٨٨
مصطفى.....٩٢
ربيع حزين.....٩٧
رجل منى الآخر..... ١٠٤
بين السطور..... ١١٦
شكوك..... ١٢٢
سيناريوهات ١٢٤
منى جميلة..... ١٢٧
السكين المفقود..... ١٣٣
الشك..... ١٣٧
ليلة أخرى نحو العنف..... ١٤١
ريهام جودت..... ١٤٥
شقة الطابق الأرضي..... ١٥٤
ماض وحاضر..... ١٦١
المحاكمة ١..... ١٦٥
المحاكمة ٢..... ١٧٤

جولة أخرى..... ١٨٠
اللمسات الأخيرة للحكم..... ١٨٦
نهاية الهر..... ١٩٢
السقوط..... ١٩٥